الفاتحة

هِدَاياتٌ إيمانيّة ومحكَمَاتٌ رَبَّانيّة

جمع:

محمد بن سعد الزهراني

١٤٤٤ هـ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صفحة ردمك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفاتحة

هِدَاياتٌ إيمانيّة ومحكَمَاتٌ رَبّانيّة

جمع:

محمد بن سند الزهراني

١٤٤٤ هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

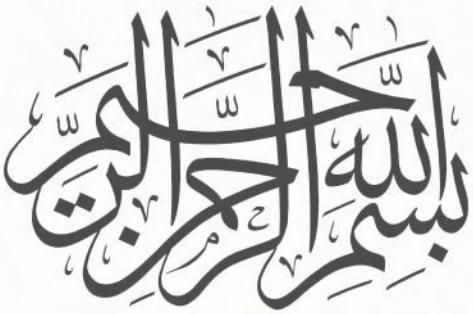
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

للمصلين

الخاشعين في محراب العبودية لرب العالمين

﴿ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾

مُقدِّمَة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على إمام المتقين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد،

أقدم بين يديك - أخي الكريم - هذا الجهد المتواضع..

سورة الفاتحة، هدايات إيمانية ومحكمات ربانية.

أم القرآن والسبع المثاني والشافية..

جمعت فيه لك بعض الدرر واللطائف من هدايات ومحكمات (إياك نعبد وإياك نستعين).

وقد استفدت من دروس الشيخ عبد الرزاق البدر سماعاً وكتاباً لسورة الفاتحة فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء..

إلا أني رأيت الحاجة شديدة لمختصر يحتاجه طالب العلم وينتفع به عموم المسلمين؛ فجاء هذا العمل بتصرف واختصار وإضافة، وقد ألزمت نفسي أن لا أذكر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا صحيحاً أو حسّنه العلماء..

وإني أهيب بك أخي القارئ الكريم أن لا تبخل علينا بنصح أو رأي نستدرك به في قادم أعمالنا.. وتؤجر عليه في تحسين ما وضعته بين يديك ..

وإني قد أوقفت هذا العمل لله لينتفع به عموم المسلمين ترجمةً وتدريساً وقراءةً في المساجد والمنابر.. والله نسأل العلم النافع والعمل الصالح..

كتبه:

محمد بن سند الزهراني

رمضان ١٤٤٤هـ

الدرس الأول: أعظم سورة في القرآن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

۞ من أعظم مقامات العبودية بين يدي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وقوف العبد خاضعًا مستسلمًا، خاشعًا، منقادًا لأمر الله -جَلَّ وَعَلَا- ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[النساء:١٠٣]، مع تزاحم الأعمال وتسارع الأوقات وكثرة المشتتات، وتنازع الأهواء والشهوات تقف حركة البشر إلى لحظة السكون والهدوء في محراب العبودية لله -جَلَّ وَعَلَا-، حيث طمأنينة النفس، وسكون الجسد، وارتواء الروح.

✹ **وإذا نظرنا إلى الصلاة وجدنا أنَّ الفاتحة ركنها الأعظم بعد تكبيرة الإحرام**، فهي تُقرأ في الفرائض سبع عشرة مرة يوميًا، وفي النوافل مَنْ حافظ على اثنتي عشرة ركعة غير الفريضة في يومه بنى الله له بيتًا في الجنة، ومَنْ ارتقى في مقام القربات لله -جَلَّ وَعَلَا- في يومهِ وليلتهِ فإنهُ يصلي أربعين ركعةً، كما صلاها النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويردد فيها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

فيا لإشراقة هذه الروح، ولطمأنينة هذه النفس، وهي تعيش مع القرآن في محراب القربات والمناجاة لله -جَلَّ وَعَلَا-.

قال -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا صَلَاةَ لِمَن لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[1]، وقال -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَن صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فيها بِأُمِّ القُرْآنِ فَهي خِداجٌ خداجٌ خداج»[2]، رددها النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثلاثًا، يعني ناقصة غير تامة.

---

(١) صحيح.
(٢) صحيح.

ألم يقل النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو يعلم الصحابة ويربيهم، قال -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لأعلمنك سورةً هي أعظم سورةٍ في القرآن الحمد لله رب العالمين، وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» [٣].

هذه السورة لها أسماءٌ كثيرة، وتعدد الأسماء يدلّ على شرف المسمى:

❁ فتُسمّى فاتحة الكتاب.

❁ وتُسمَى بالسبع المثاني.

❁ وتُسمَى بالقرآن العظيم.

✸ وسميت بالسبع المثاني: لأنَّ آياتها سبع، وتُثنَى في كل صلاةٍ نتقرب بها إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وهي نورٌ عظيم، وضياءٌ مبين أكرم الله بهِ أمة محمد -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

★ فالواجب علينا أنْ نحمد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على نعمة الإسلام فهي النعمة العظمى، ومن شكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على هذه النعمة: أنْ نعطي هذه السورة حقها من التلاوة، والفهم السديد والقيام بما تقتضيه من صلاحٍ واستقامةٍ وسيرٍ على صراط الله المستقيم.

من الناس -هداهم الله- مَنْ لا حظ لهُ من هذه السورة إلا التلاوة فقط، ويغفل عن هدايات القرآن، وهدايات سورة الفاتحة، ولا شك أنهُ حرم نفسهُ من أعظم موردٍ لهذه الروح.

✹ وهذه السلسلة المباركة بإذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- سنبين فيها هدايات سورة الفاتحة، فما دام أنَّ هذه السورة يردد المصلي فيها الفاتحة سبعة عشر مرة في الفرائض، وفي النوافل قريبًا من أربعين ركعةً، إذًا لا بد أنْ نقف مع هذه السورة وقفة نستلهم منها هدايات القرآن، وهدايات سورة الفاتحة؛ لنعيش مع القرآن ونتربى مع القرآن ونحيا ونموت على منهج القرآن وبالله التوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

---

[٣] صحيح.

الدرس الثاني: مقاصد الفاتحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعدهُ.

وبعد ...

۞ **هذا الدرس سنتحدثُ فيهِ بإذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن مقاصدِ سورة الفاتحة**، هذه السورة العظيمة اشتملت على المقاصد العظمى والغايات الكبرى للقرآن العظيم، كيف لا والقرآنُ قد جُمِع في الفاتحة، والفاتحة جمعت في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

۞ **إنَّ من أعظم المقاصد العظمى في سورة الفاتحة وهي منطلق دعوة الأنبياء والرُسل -عَلَيْهِم اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- جميعًا إلى أقوامهم**، الدعوة إلى توحيد الله -جَلَّ وَعَلَا-، فإذا نظرنا إلى آيات القرآن:

❁ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، اشتملت على توحيد الألوهية والربوبية، **فمقصدها العظيم**: التعريف بالمعبودِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وبحمدهِ.

❁ وفي قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، إثبات الأسماء والصفات، اسمان مشتملان على صفةٍ واحدةٍ وهي الرحمة.

وهذه الآية أصلٌ في إثبات الرسالاتِ وإنزال الكتب، وإثبات الجنة والنار والعدل، فالرسالات كلها من باب رحمة الله -جَلَّ وَعَلَا-، **قال تعالى**: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[آل عمران:١٥٩]، وقال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

★ **ولو لم يبعث الله -جَلَّ وَعَلَا- الرُسل -عَلَيْهِم اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لم يعرف الناس ربهم**، وما عرفوا مرضاته، ولا الطريق الموصل إلى رضوانهِ وأمرهِ ونهيه، فأرسل الله -جَلَّ وَعَلَا- الرُسل -عَلَيْهِم اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ليكف عنهم العذاب، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء:١٥].

فمبعث الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- سببٌ ومانعٌ من العذاب، إذا اتبع الناس أمر الله -جَلَّ وَعَلَا- الَّذِي جاء به الأنبياء والرُّسل -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ ولذلك قال النبيّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أبى»[4].

❁ **أيضًا هذه السورة من مقاصدها العظيمة**: إثبات يوم القيامة ولقاء الله -جَلَّ وَعَلَا-، وهذه الآية دلّت على إيمان العبد بالغيب، ومما لهُ صلةٌ باليوم الآخر في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، ولذلك أثنى الله -جَلَّ وَعَلَا- في سورة البقرة على أهل الإيمان ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، وجاء من صفاتهم أنهم يؤمنون بالغيب.

❁ **ومن مقاصد هذه السورة العظيمة**: في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، اشتملت على المقاصد الَّتِي من أجلها خلق الله -جَلَّ وَعَلَا- البشرية، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، فمقامات الدين الثلاث الإسلام والإيمان والإحسان بركائز العبودية الثلاث؛ المحبة والخوف والرجاء مع قيام العبد بمقام الإخلاص لله تعالى، ومتابعة النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في عبادتهِ، كلها مقاصد عظيمة تقود الإنسان لتحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فيسير العبد إلى ربه -جَلَّ وَعَلَا- بعقيدةٍ صافية، وعبادةٍ مخلصة، وخلقٍ فاضل، وأدبٍ جم، فلا ذبح، ولا دعاء، ولا خشية، ولا استغاثة، ولا استعانة إلا بالله الواحد الديان، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

---

[4] صحيح.

❁ هذه السورة العظيمة بهذه المقاصد العظمى تجعل المسلم في كل زمانٍ ومكان يلحق بقافلة مَنْ أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

۞ **إذًا هذه السورة العظيمة:** من ثمارها المباركة بناء الشخصية الإسلامية المتميزة الَّتِي جمعت ما بين العلمِ والعمل، وتحقق مصالح الدنيا ونعيم الآخرة، والتكامل ما بين الروح والجسد.

۞ **فقسّمت هذه السورة الناس إلى ثلاثة أقسام:**

طرفان ووسط:

❁ **طرفٌ** ابتلي بالإفراطِ مع الجهل.

❁ **وطرفٌ** ابتلي بالتفريط مع العلم.

فغضب الله على المفرط تفريطًا مع العلم، وعلى المفرط إفراطًا مع الجهل، وجعل بينهم هذه الأمة الَّتِي أنعم الله عليها، فسارت إلى الله -جَلَّ وَعَلَا- بعلمٍ وعملٍ، واستقامت على رضوان الله -جَلَّ وَعَلَا.

الدرس الثالث: الفاتحة وتوحيد الربوبية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الفاتحة وتوحيد الربوبية

۞ **إذا نظرنا إلى سورة الفاتحة فإننا نجد أنَّ الآية الأولى:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، أُفتتحت بها سورة الفاتحة، وهي التعريفُ بالمعبود -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وبحمدهِ، **فالحمد لله رب العالمين:** من الوهلة الأولى ترسخ عقيدة التوحيد، **الحمد لله:** توحيد الألوهية، **رب العالمين:** توحيد الربوبية.

فربُ العالمين المنفرد بالملكِ والخلقِ والرزق والتدبير، المحيي المميت، القابض الباسط، الخافض الرافع، المعز المذل، المدبر لكل هذا الكون أوجدهُ من العدم، وهو -جل جلالهُ- المتصرفُ فيهِ كيف يشاء، ويقضي فيهِ بما يريد، لا راد لحكمهِ، ولا لمعقب لقضائهِ.

★ **هذه السورة وهي سورة الفاتحة:** عندما نقرأها فإنّ قلب العبد يمتلئ توحيدًا وأنوارًا تتلألأ من قلبهِ، فيرى الموحد ثمار هذا التوحيد، وهو توحيد الربوبية، يرى ذلك في يومهِ وفي ليلتهِ، والمسلم اليوم والشباب على وجه الخصوص يرون ويسمعون عبر المواقع العالمية فئات الملحدين الجاحدين للربوبية ووجود الخالق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولكنهم يدركون تمامًا بما عندهم من التوحيد الخالص لله حجم ظلمات الحيرة والشك والاضطراب والقلق في حياة الملحدين، وهذا عذابُ الدنيا وجحيمها يلفح قلوبهم صباح مساء.

في المقابل: نجد تدفق مشاعر السكينة والطمأنينة إلى قلوب الموحدين، **كيف لا والتوحيدُ شجرةٌ طيبة تؤتي أُكلها كل حينٍ بإذن ربها،** فهي نعمةٌ من الله ينزلها على قلوب المؤمنين الموحدين.

❁ إنَّ مما يحزن الفؤاد أنْ نرى في واقع بلاد المسلمين بعضًا من مظاهر نواقض ونواقص توحيد الربوبية، بدءًا من الفرق الضالة المستغيثة بالأئمة والأولياء والمقبورين، يدعونهم من دون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ويصرخون بأعلى صوتهم استغاثةً بهم، بل يقفون على عتبات مشاهدهم، فيعتقدون فيهم تحكمهم في ذرات الكون، فينشأ تأليههم للأموات؛ لعلمهم اليقيني أنّ لهم حقّ في الربوبية الَّتِي لا تُصرف إلا لله وحده لا شريك له، فاللهم إنَّا نبرأ إليك من فعلهم، ونعوذ بك من شرورهم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع: الفاتحة وتوحيد الألوهية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الفاتحة وتوحيد الألوهية

عندما نشرع في صلاتنا يقف المسلم في صلاتهِ وقوف الخاشعين، وقوف الفقر والتذلل والخضوع والاحتياج بين يدي ربهِ -جَلَّ وَعَلَا-، اَلَّذِي لا غنى لهُ عنهُ طرفة عين، ليردد في أعماق قلبهِ وجنبات فؤادهِ يقينًا صادقًا وإيمانًا راسخًا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تتحقق بكلمةِ لا إله إلا الله، فلا معبود بحقٍّ إلا الله، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تتحقق بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله.

★ إنَّ من الجهل المبين والضلال العظيم أنْ يقر الإنسان بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ثم ينصرف من صلاتهِ تأليهًا واستعانةً بغير الله -جَلَّ وَعَلَا-، يمد يديه قائلًا: (مدد مدد يا فلان)، أو (أغثني، أغثني يا فلان)، دعاءٌ للأموات في قبورهم، أو دعاءٌ لحيٍ غائبٍ ليس بحاضر.

❁ فهو عندما يقول هذه المناداة قد التجأ إلى مخلوقٍ مثلهُ لا يعطي، ولا يمنع، ولا يملك لنفسهِ موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فضلًا أنْ يملك ذلك لغيرهِ، إنَّ مَنْ فهم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حقّ الفهم لا يمكن أنْ يتوجه بأي حالٍ من الأحوال إلى غير الله -جَلَّ وَعَلَا-، ولا يمكن أنْ يستعين إلا بالله.

★ إنَّ مظاهر شرك الألوهية في أوساط بعض المسلمين كثيرةٌ ومتعددة، فالواجب على المسلم أنْ يقيم التوحيد في نفسهِ مقام صدقٍ ويقين، ولا يمكن ذلك إلا برفع الجهلِ ونشر العلمِ وظهورهِ وتحقيقهِ، والدعاة اليوم مطالبون أكثر مما مضى في تعميق قضايا التوحيد والدعوة إلى الله على بصيرة.

إنَّ صور شرك الألوهية متعددة في أوساط المسلمين، فإننا نجدُ مَنْ يقف في صلاتهِ ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ينتهي من صلاتهِ فيرتمي في أحضان السحرة والكهنة والمشعوذين، والدجالين والمنجمين والعرافين، يسألهم ويستعين بهم من دون الله -جَلَّ وَعَلَا-، **فأين** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟!

★ ومن الناس مَنْ يحلف بغير الله -جَلَّ وَعَلَا-، أو يضيف في ثنايا عباراتهِ وكلامهِ واو التسوية، أنا عند الله وعندك، أو يعلق التمائم والحروز والطيرة، هذه كلها طوامٌ من انصراف القلب لغير الله -جَلَّ وَعَلَا-، وهو يردد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والأدهى من ذلك ما حذَر منهُ النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مما يخالفُ توحيد الألوهية ولا يعلم بهِ، ولا يطلع عليهِ إلا الله -جَلَّ وَعَلَا-، قد انطوت سريرتهُ على شرك النيات، فيحسن أعمالهُ ومقاصدهُ رياءً وسماعةً؛ طلبًا للشهرة والتسميع والتزين للمخلوقِ أمام حقّ الله -جَلَّ وَعَلَا- العظيم.

❁ فلا شك أننا بحاجةٍ إلى قراءة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولكننا بحاجةٍ إلى الرسوخ في فهمِ هذه الكلمة العظيمة حتى نحقق التوحيد كما أراد الله، وبيّن رسول الله -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فاللهم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الدرس الخامس: الفاتحة وتوحيد الأسماء والصفات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الفاتحة وتوحيد الأسماء والصفات

۞ **من أعظم مقامات التوحيد في صورة الفاتحة:** تقرير توحيد الأسماء والصفات في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، فعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة إثبات ما أثبتهُ الله لنفسهِ في كتابهِ، وما جاء صحيحًا في سُنة النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الأسماءِ والصفات، بلا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ، أو تحريفٍ وتكييف.

★ **ويلزم من ذلك:** السكوتُ عما لم يأتِ فيهِ نصٌّ صريحٌ بإثبات الأسماء والصفات، فإثبات الأسماء والصفات أمرٌ توقيفي فالاجتهاد فيهِ.

✹ نقرأ في الفاتحة قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، جاءت بعد وصف الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- نفسهُ بـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، فيستشعر السامع بالرهبة أمام عظمة الله وجلال الله وكبرياء الله.

ثم قرن الله -جَلَّ وَعَلَا- هذه الآية بقولهِ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ ليجمع ما بين الرهبة منه والرغبة إليهِ، فيكون أعون على طاعتهِ وأمنع، ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[الحجر:٤٩-٥٠].

❀ **وبهذا يشهد العبد آثار أسماء الله تعالى فيزداد بذلك إيمانًا ويقينًا**، ومحبةً وإجلالًا وتعظيمًا، بل يقوى في قلب العبد عبودية الرجاء والتعلّق برحمة الله -جَلَّ وَعَلَا-، وعدم اليأس، فتسري في نفس أهل الإيمان الآمال وانتظار الفرج بعد الشدة ومغفرة الذنوب.

★ إنَّ للأسماء والصفات أثرٌ في منهج والرُسل -عَلَيْهِم اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وأخلاق العظماء من الأئمة الأعلام وأهل الصلاحِ والفضل، فهذا نبينا -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُدِح بنبي الرحمة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]، ومُدِح الصحابة -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُم- بأنهم رحماء بينهم، وخُصّ أبا بكرٍ بالكمال البشري في الرحمة بعد الرُسل -عَلَيْهِم اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

ورغَب النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالتراحم بيننا، وأنَّ رحمة الله تنال الرحماء.

❁ وبهذا يتخلق المسلم بخلق الرحمة بعيدًا عن الأنانية والبطش والانتقام، أرأيتم أيها الموحدون أثر هذه السورة في سيرنا إلى الله -جَلَّ وَعَلَا-، وآثار هذه المعاني لِمَنْ استلهم هدايات القرآن ونور القرآن، وذلك بصلاحهِ وصلاحِ غيرِه.

فاللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

الدرس السادس: الفاتحة وشرط الإخلاص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ومن هدايات هذه السورة العظيمة: أنها اشتملت على شرطي قبول العبادة، فالعبادات على كثرتها وتنوع أحوالها لا يقبلها الله -جَلَّ وَعَلَا- من العبد إلا إذا كانت لهُ خالصةً، ولسُنَّة نبيهِ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- موافقه.

أمَّا شرط الإخلاص: ففي قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥]، أي: نخصك وحدك بالطاعة يا الله، لا نصرف شيئًا من العبادات لأحدٍ غيرك، فيا أيها الموحد علِق قلبك بالله الواحد الديان، وسترى أثر فضائل هذا العمل الباطني القلبي اَلَّذِي هو سرٌ بينك وبين الله.

فبالإخلاص لله وحدهُ لا شريك له ينجيك الله من إظلال الشياطين ومن إغوائهم، قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[ص:٨٢-٨٣]، فبالإخلاص لله وحده لا شريك له تُفرَج الهموم، وتُزال الكروب، ويتطهّر القلب، يتطهر من الحقدِ ومن الحسدِ والبغضاء، وهو طريقك الموصل إلى الرضوان ومحبة الرحمن.

إنَّ مما نتواصى بهِ الحذر أشد الحذر من الشرك، وأنا أقصد هنا الشرك اَلَّذِي لا يطلع عليهِ إلا الله، ولا يعلم بحالهِ إلا الله، ألا وهو ما انطوت عليهِ هذه النفس من شرك النيات والمقاصد، فقد أُبتلي بعض المسلمين بالبحث عن الشهرة وحظوظ النفس عند الناس، فلا يجد من طريقٍ إلا صالح القول والعمل، فتارةً يُسمِع بهذا العمل، فلا يترك شيئًا بينهُ وبين الله إلا أظهرهُ وتزين بهِ.

★ والبعض لربما -ونعوذ بالله من ذلك- انطوت نفسهُ على نيةٍ خبيثةٍ فاسدة، فاسدةٍ من أصلها وهي هذه الدسيسة وهذه الخسيسة، بمعنى: أنَّ النية من أصلها لم تكن لله وإنما من أجل الرياء والسمعة.

❁ ولذلك جاء في الحديث القدسي قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: «أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه معِيَ غيري تركتُهُ وشِركَهُ» (٥)، وقال -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيحِ الدجالِ؟ الشركُ الخفيُّ: أنْ يقوم الرجل فيصلي فيزين» وفي روايةٍ «فيزيد صلاتَه؛ لما يرى من نظرِ رجلٍ» (٦)، وقال -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أيُّها النَّاسُ، اتَّقوا هذا الشِّركَ؛ فإنَّه أخفى مِن دَبيبِ النَّملِ» (٧).

❁ ثم أرشدنا -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إلى هذا الدعاء العظيم اَلَّذِي إذا حافظنا عليهِ أذهب الله عنا الشرك كبيره وصغيره.

اللهم إنَّا نعوذ بك أنْ نشرك بك شيئًا نعلمهُ، ونستغفرك لما لا نعلم، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

---

(٥) صحيح.
(٦) حسن.
(٧) حسّنه الألباني.

الدرس السابع: الفاتحة وشرط المتابعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

۞ مرّ بنا في الدرس الماضي شرط العبادة الأوَل، ألا وهو الإخلاص لله وحده لا شريك له، وبهذا نعرف هذا الميزان للعملِ الصالح وهو الميزان الباطني القلبي اَلَّذِي هو سرٌ بيننا وبين الله.

★ **بقي أنْ ندرك أنَّ هذا العمل لا بد أنْ يكون موافقًا للنبي -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**، إذ لهُ باطن ولهُ ظاهر، فباطنهُ الإخلاص **وظاهرهُ** المتابعة للنبي -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كل عبادةٍ نتقرب بها إلى الله.

فجاءت الفاتحة ببيان هذا الشرط في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:٦-٧]، وهذا دليلٌ صريحٌ أنَّ الله -جَلَّ وَعَلَا- لا يقبل عمل العامل إلا إذا كان على ضوء الصراط المستقيم، هذا الصراط المستقيم اَلَّذِي دعا إليهِ النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، **وقد ثبت في الحديث أنَّ النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:** «مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ»[٨]، أي: مردودٌ على صاحبهِ، غير مقبولٍ منهُ عند الله -جَلَّ وَعَلَا-.

❁ **ألم يقل النبيّ -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «صلوا كما رأيتموني أصلي»؟**[٩] وقال -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في الحج: «**خذوا عني مناسككم**»[١٠]، فلا مجال أنْ نجتهد وأنْ نقول: هذا أفضل، وهذا أحسن، وإنما الاقتداءُ والاتباع بالنبي -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

---

(٨) صحيح.
(٩) صحيح.
(١٠) صحيح.

★ لقد ابتليت الأُمة الإسلامية بهذه البدع الكثيرة المتنوعة، وكلها تقف في طريقٍ يقابل السُّنَّة تمامًا، فمَنْ أراد النجاة من البدع فعليه بوصية النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اَلَّتِي أمر بها، قال -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ من بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ» [11]، وحذَر -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- من البدع، فقال -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأُمورِ؛ فإنَّ كُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ» [12]، وقال -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منهُ فهو رد» [13].

★ لقد سطّر الأولياء الأخفياء الأنقياء في صفحاتِ المجدِ مواقف الموحدين بكثرةِ خبايا الأعمال الصالحة، بينهم وبين الله -جَلَّ وَعَلَا-، ثم بصدقِ الاتباع والاقتداء برسول الله -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فالعبرةُ إنما هي بحسن العمل وليست بكثرته، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[الملك:١-٢].

ولا يكون العملُ حسنًا وصالحًا إلا إذا توفر فيهِ شرط الإخلاص والمتابعة للنبي -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وهذا وعد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- للمخلصين من عبادِهِ اَلَّذِين تقربوا إلى الله -جَلَّ وَعَلَا- بصالحِ الأعمال، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:٣٠].

فاللهم اجعل أعمالنا لك خالصة ولسُنة نبيك موافقة، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

---

(11) صحيح.
(12) صحيح.
(13) صحيح.

الدرس الثامن: الفاتحة والصراط المستقيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

نقرأ في الفاتحة قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:٦-٧].

﴿اهْدِنَا﴾: دلنا وأرشدنا ووفقنا يا الله للصراط المستقيم، الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنتهِ، ألا وهو الإسلام، وذلك بمعرفتهِ والعمل بهِ.

دعاءٌ من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا أوجب الله على المسلم أنْ يدعو الله في كل ركعةٍ من صلاتهِ وما ذاك إلا لضرورتهِ وحاجاته للهداية، فإذا استشعر المسلم أنَّ الهادي هو الله سُبْحَانَهُ يهدي مَنْ يشاء، ويضلُّ مَنْ يشاء، قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[يونس:٢٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[الزمر:٢٢].

فعندها يتوجه العبد بكمال الخضوعِ والخشوع لله -جَلَّ وَعَلَا- في صلاتهِ، يطلب الهداية إلى الصراط، وهو لزوم دين الإسلام، وترك ما سواهُ من الأديان، ويطلبُ الهداية في الصراط.

هناك هدايةٌ إلى الصرط.

وهناك هداية في الصراط.

فالهداية في الصراط يشمل جميع التفاصيل الدينية والدنيوية علمًا وعملًا، فما أحوجنا لهداية الله لنا مع كل طرفة عين!

✡ كان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي شرح الله لهُ صدره، ووضع عن وزره، ورفع له ذكره، يلح على ربهِ بسؤال الهداية، ففي مقدمة صلاتهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وهو يستقبل ربهُ في جوف الليل يلهج لسانهُ بهذا الدعاء: «اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحقِّ بإذنِكَ، إنك تهدي مَنْ تشاء إلى صراطٍ مستقيم» [١٤].

★ ومن دعائهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهُمَّ إِنِي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعفَافَ، والغنَى» [١٥].

✯ ومن دعائهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الدعاء العظيم «اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق لا يهدي لإحسانها إلا أنت» [١٦].

✸ ومن دعائهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين السجدتين: «اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني» [١٧].

➢ إنَّ حاجتنا للهداية أعظم من حاجتنا إلى الطعام والشراب؛ لأنَّ الطعام والشراب يحتاجها الإنسان ليحيا في هذه الحياة القصيرة الفانية، أمَّا الهداية فهي الَّتِي تُبنَى عليها الحياة الآخرة المستمرة، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١٤) صحيح.
(١٥) صحيح.
(١٦) صحيح.
(١٧) صحيح.

الدرس التاسع: ما هو الصراط المستقيم؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، ما هو هذا الصراط المستقيم الَّذِي أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أنْ ندعوهُ في الفرائض سبع عشرة مرة أنْ يدلنا وأنْ يرشدنا إلى هذا الصراط المستقيم؟

قبل أنْ نبين هذا الصراط المستقيم نقرر مسألة مهمة جدًّا في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، فما مات النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلا وقد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، وكشف الله بهِ الغمة فـ صلى الله عليه وسلم.

قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «تركتُكم على البيضاءِ ليلِها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالِكٌ».

فالصراط المستقيم هو الإسلام، الإسلام الَّذِي ارتضاهُ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وهو دين -آدم عليه السلام- ودين جميع الأنبياء -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وهو دينُ إبراهيم إمام الحنفاء ودين خاتم الأنبياء والمرسلين -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

الإسلام الَّذِي يعتقد فيهِ المسلم الصراط المستقيم، هو استسلامهُ لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بالتوحيد، فيسمو بعقيدة لا إله إلا الله، ويتحرر من ذل العبودية لغير الله -جَلَّ وَعَلَا-، الصراط المستقيم هو الإسلام الَّذِي ينقاد فيهِ المسلم باطنًا وظاهرًا لله بالطاعة، فترتسم معالم منهجيتهُ في هذه الحياة، فيقوم إسلامهُ على عقيدةٍ صافية وعبادةٍ مخلصة، وخلقٍ فاضلٍ، وأدبٍ جم.

سُئل ابن مسعود: ما هو الصراط المستقيم؟ قال: (هو طريقٌ تركنا النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أولهِ وآخره في الجنة)، وقد وضح النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الصراط للصحابة -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُم- بمثلٍ ضربهُ للصحابة، فخطّ خطًا وخطّ خطين عن يمينه، وخطّ خطين عن يسارهِ، ثم وضع يده -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في ذلك الخط المستقيم فقال: «هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]».

● إنَّ أعظم بلاءٍ يتعرض لهُ المسلم في طريقهِ إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وهو يسلك هذا الصراط المستقيم، عداوة الشيطان الرجيم اَلَّذِي أخذ العهد والميثاق على أنهُ يذلُّ بني آدم، فهو جالس للعبدِ في جنبات هذا الطريق يريد أنْ يأخذهُ ذات اليمين وذات الشمال ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[الأعراف:١٦-١٧].

وكل طريقٍ يسلطهُ ابن آدم الشيطان قاعدٌ فيهِ، يريد أنْ يصدهُ عن الحقّ وعن الهدى، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، فزيّن الشيطان لدعاة البدع صد الناس عن الحقّ، وعن الصراط المستقيم اَلَّذِي ارتضاهُ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- للبشرية.

☼ فمن الناس: مَنْ جعل هذا الصراط المستقيم مقتصرًا على المسجد، ولا شأن للإسلام وهذا في شؤون الحياة، ومن الناس: مَنْ جعل هذا الصراط المستقيم مقتصرًا على التصديق عند تعريفهِ للإيمان، ولا دخل للأعمال في مسمى الإيمان، فلا يزيد الإيمان ولا ينقص، وساوى بين إيمان أبي بكرٍ ومَن زنى وشرب الخمر، نعوذ بالله من ذلك.

☼ ومنهم: مَنْ جعل هذا الصراط المستقيم عند حديثهِ عن الإيمان، جعل الإيمان شيئًا واحدًا:

- إمَّا أنْ يبقى كلهُ.

- أو يذهب كلهُ.

➢ **فكفّروا مَنْ وقع في كبيرةٍ من كبائر الذنوب**، واستحلوا دماء المسلمين بأدنى الحيل، وكل هذا والله جنايةٌ من أولئك على مفهوم صراط الله المستقيم اَلَّذِي ارتضاهُ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- للخلقِ أجمعين، فاللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد.

الدرس العاشر: عوائق الهداية (الشرك)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

عوائق الهداية إلى الصراط المستقيم:

يسير العبد إلى الله -جَلَّ وَعَلَا- في ليلهِ ونهارهِ صادقًا موقنًا، مخلصًا لله، قد تلازم هذا الباطن مع ظاهرهِ فلا ترى إلا أنوار الهدايات الربانية تغشى أهل الإيمان والصلاح.

ونحن نقرأ قول الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، ينبغي للمسلم أنْ يعلم أنَّ هذا الصراط لهُ عوائق تحول بينهُ وبين هداية الله لهُ، بل هي قواطع لا يجد للعبادة فيها لذة، ولا للثباتِ والمناجاة نعمة، وهي على مراتبها من الخطورة:

١- الشرك. ٢- البدع. ٣- المعاصي.

إنَّ واقع بعض المسلمين اليوم يندى لهُ الجبين، ويتفطر القلب كمدًا، وتدمع العين حزنًا على مجانبة مقام التوحيد، والوقوع في صريح الشرك والكفر والضلال.

فأوَل عوائق الهداية إلى صراط الله المستقيم، الشرك، الشرك أخطر الذنوب والآثام، وأظلم الظلم، وليس من الظلم شيءٌ أعظم منهُ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]، وأي ظلمٍ أعظم من أنْ تصرف العبادة لغير الله -جَلَّ وَعَلَا-، يرزق وينعم ويتفضل -جل جلالهُ- على خلقهِ، ثم يُدعَى غيرهُ! ثم يُسأل غيره!

☼ هذا عبد الله بن مسعودٍ -رَضِيَ اَللهُ عَنهُ- يقول: "سألت النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أي ذنبٍ أعظم عند الله؟" قال: «أن تجعلَ لله نِدًّا وهو خلقك» [18]، وتنبه هنا لقولِهِ: «وهو خلقكَ»، فهو وحدهُ المنفرد دون سواه لخلقك، وإيجادك من العدم، يكفي هذا دليل على وجوب إقرارهِ وحدهُ لا شريك لهُ بالعبادة، فلا يُدعَى إلا هو، ولا يُسأل إلا هو، ولا يُستعان إلا بهِ، ولا يتوكل إلا عليهِ، ولا يُطلَب المدد والعون والنصرةُ إلا منهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل.

قال تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، أي: تعلمون لا خالق لكم غير الله، إنما يفعلهُ أهل البدع أئمة الضلال من تزيين الباطل والتلبيس على الناس، فيجعلون الباطل في صورة الحقّ والهدى، فيقع الناس في الشركيات والبدع والحرمان من هدايات القرآن والانتفاع بآيات الرحمن.

✹ إنَّ من يقرأ قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يجب عليهِ أنْ يفهم قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، وقول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢]، ويفهم كذلك قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥].

اللهم أصلح لنا ديننا اَلَّذِي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا اَلَّتِي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا اَلَّتِي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١٨) صحيح.

الدرس الحادي عشر: عوائق الهداية (البدع)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦].

فمن عوائق الهداية إلى الصراط المستقيم البدع، عبادةٌ يتقرّب بها العابد لله -جَلَّ وَعَلَا- بما لم يشرعهُ، فأي ضلال وخسران لِمَنْ جانب القرآن حبل الله المتين، ونورهُ المبين، مَنْ تمسك بهِ رفعهُ الله، ومَنْ ابتغى الهدى من غيرهِ أضلهُ الله، ومَنْ تركهُ من جبارٍ قصمهُ الله.

ما من عبادةٍ نتقرّب بها إلى الله -جَلَّ وَعَلَا- إلا ويشترط فيها شرط الإخلاص لله وحدهُ لا شريك، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

الشرط الثاني: هو متابعة النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يعني لا بد أنْ يكون هذا العمل الصالح الَّذِي أخصلنا فيهِ لله، لا بد أنْ يكون موافقًا للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في عبادتهِ.

★ **فمَنْ وافق ما جاء بهِ النبيّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فهو عملٌ مقبول**، ومَنْ خالف سُنة النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو مبتدع وعملهُ مردود، كما قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو ردٌّ**»[١٩]، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ عمل عملًا ليس عليهِ أمرنا فهو رد**»[٢٠].

---

(١٩) صحيح.
(٢٠) صحيح.

هذا الحديث أصلٌ في ردِ كل المحدثات والبدع والأوضاع المخالفة للشرع، وإذا أردنا أنْ نحرر مسألة البدعة ونعرفها باختصار مفيد، فهي إحداثٌ في الدينِ بما لم يثبت في كتاب الله ولا سُنَّة رسول الله -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وعلى هذا: فالبدع أعظم ذنبًا عند الله من كبائر الذنوب، فصاحب الكبيرة يعلم بحرمتها، ويجد للمعصية ندمًا في قلبِهِ، ولا زال إيمانهُ يحدوهُ حتى يقلع عن هذه الذنوب والمعاصي، أمَّا صاحب البدعة فهو يرى مشروعية هذه البدعة، وأنها من الأعمال الصالحة اَلَّتِي يهتدي بها إلى صراط الله المستقيم، فلا يجد لها ندمًا في قلبِهِ، بل يدعو الله -جَلَّ وَعَلَا- في ليلهِ ونهارهِ أنْ يميته الله على هذا العمل الصالح اَلَّذِي رآهُ أنهُ صالح وهو ليس كذلك، ولربما مات من أجلها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فمَنْ كان كذلك كيف يُهدَى إلى صراط الله المستقيم؟

مَنْ ينظر إلى واقع المسلمين اليوم يرى بدعًا لا يرضاها الله ولا رسولهُ، ولا يقرها مسلمٌ عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر، لقد روجوا تلك البدع في أوساط الناس، حتى قامت وكأنها سُنن، ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾[فاطر:٨].

قال ابن مسعود: "**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**"، وهذا عبد الله بن عمر يقول: "**كل بدعةٍ ضلالة، وإنْ رآها الناس حسنة**".

قال الإمام مالك -رَحِمَهُ اَللهُ-: (**مَنْ ابتدع في الإسلام بدعة رآها حسنةً فقد زعم أنَّ محمدًا قد خان الرسالة**)؛ لأنَّ الله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، اللهم وفقنا للتمسك بسُنة نبيك -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وجنبنا البدع والفتن ما ظهر منها وما بطن، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد. **والحمد لله رب العالمين.**

الدرس الثاني عشر: عوائق الهداية للصراط المستقيم (المعاصي)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

۞ ومن العوائق عن الصراط المستقيم والهداية إليهِ: قيام المرء باتباع ذنوبهِ وشهواتهِ المحرمة.

إنَّ للذنوب والمعاصي أضرارًا وآثارًا.

❁ فمن أضرارها: حرمان العلم والرزقِ والطاعة، وقسوة القلب وزوال النعم وسوء الخاتمة.

وهذه الذنوب والمعاصي دركات، فمن أعظمها وأخطرها ما كان متعلقًا بحقِّ الله وشرعهِ، فالشركُ لا يُغفَر، وحقوق العباد لا تُترَك، والعاقلُ مَنْ أصلح قلبهُ باجتناب الكبائر، والبعد عن الفواحش، والتائب من الذنبِ كمَنْ لا ذنب له.

★ إنَّ من أعظم آثار الذنوب والمعاصي أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسهِ، فإنَّ العبد العاصي إذا وقع في شدةٍ أو كربٍ أو بلية خانهُ قلبهُ ولسانهُ وجوارحهُ، والأمر ليس بيدهِ وإنما بيد الله -جل جلالهُ-، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[الحشر:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤].

فكيف لهذا القلب الَّذِي حال بينهُ وبين الصراط المستقيم وهدايتهِ كبائر الذنوب وفواحش الآثام، كيف لهُ أنْ ينجذب قلبهُ إلى الله -جل جلالهُ- توكلًا وإنابةً، وتضرعًا وتذللًا وانكسارًا، بين يديهِ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

☆ والأعظم من هذا والأنكى والأمر: أنْ يخونهُ قلبهُ ولسانهُ عند الاحتضار والانتقال إلى الله، فيتلعثم لسانهُ ويعجز بيانهُ، فلا غرابة في ذلك، ألم يكن في حال حضور ذهنهِ وكمال إدراكهِ قد أسلم الزمام لشيطانهِ فاستعملهُ بما يريد، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[النساء:١٤].

❁ **إذا أردت السلامة من الذنوبِ والمعاصي فانظر إلى محبة الله في قلبك مع إجلالهِ وإعظامهِ -عَزَّ وَجَلَّ-**، فشهود المحبة والتعظيم من أعظم المقامات لحياة القلب والنجاة الفتن.

اللهم إنَّا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا ذاكرًا، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثالث عشر: اليوم الآخر وتقرير الاعتقاد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

نقرأ في الفاتحة قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤].

فمن هدايات سورة الفاتحة: تقرير الإيمان بيوم القيامة، الإيمان بهذا اليوم الَّذِي هو ركنٌ من أركان الإيمان، وأصلٌ من أصولهِ، وهذا الإيمان إجمالًا هو التصديق الجازم بوقوعهِ ومجيئهِ، وأنَّ الله يبعث فيهِ الناس للحساب والجزاء.

❋ إنهُ اليوم الَّذِي يدين الله العباد فيهِ بأعمالهم، يثابون فيهِ على فعل الخيرات والحسنات، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات، وما كان الله ليعذب أحدًا قبل إقامة الحُجَّة عليهِ، والحُجَّة إنما قامت بإرسال الرُّسل، وإنزال الكتب، وبهم استحق الثواب والعقاب؛ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم:٣١]، إنَّ تكرار هذه الآية مع سورة الفاتحة سبع عشرة مرة يوميًا يرسخ هذا الركن العظين في نفوس المؤمنين.

والكتاب والسُنَّة جاء فيها البيان الشافي، والإيضاح الكافي لما يكون في ذلك اليوم العظيم من مجازاةٍ ومحاسبةٍ ومعاقبة، وانقسام الناس إلى فريقين:

❋ فريقٌ في الجنة.

❋ وفريقٌ في السعير.

والمؤمن وهو يقرأ كتاب الله لا يزداد في هذا الأمر إلا رسوخًا في إيمانهِ؛ لأن الآيات البينات والدلائل الواضحات على هذا اليوم وعلى الوقوف بين يدي الله -جَلَّ وَعَلَا-، والرجوع إليهِ جاءت في كتاب الله، وسُنَّة نبيهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

* أي أثرٍ لهذه الآية في قلب المؤمن يوم أنْ يقرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]! وأي عظمةٍ لهذا اليوم يوم تتذكر وقوفك بين يدي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، عندها ترى آثار هذا الإيمان في حياة السائدين إلى الله، وما ذاك إلا بحسن الاستقامة على طاعتهِ، واجتناب نواهيهِ، **وبذلك يلتزم المسلم بالأعمال الصالحة ويحقق التقوى في باطنهِ وظاهرهِ**، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة:١٨]، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع عشر: اليوم الآخر ورسوخ الإيمان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

۞ في قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، **فمن هدايات هذه الآية أنها ترسخ الإيمان باليوم الآخر**، وما ذاك إلا أنَّ الإيمان باليوم الآخر على درجتين:

❁ **الدرجة الأولى**: أنْ يكون مصدقًا ومؤمنًا ومعتقدًا اعتقادًا يقينيًا لا يخالطهُ شكٌ ولا ريب بأنَّ هناك حساب، ويوم عقابٍ، ويوم وقوفٍ بين يدي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، يجازي فيهِ الناس بأعمالهم، وبما قدموا في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف:٨-٩].

هذا الإيمان إنْ لم يكن موجودًا مع كل مسلمٍ في عقيدتهِ فهو كافرٌ بالله، ولذلك لا بد أنْ يكون إيمانًا جازمًا لا يخالطهُ شكٌ ولا ريب.

❁ **أمَّا الدرجة الثانية للإيمان باليوم الآخر**: فهو الإيمان الراسخ، وهذا أعلى درجة ورتبة من الإيمان الجازم، لكن **ما معنى رسوخ الإيمان؟** معناهُ: استحضار العبد لهذا اليوم، ودوام شفقته منه، واستحضارهِ للقاءِ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، والوقوف بين يديه -جَلَّ وَعَلَا-، فبالهُ منشغلٌ في الاستعدادِ والتهيؤ بهذا اليوم.

★ فيا لهناء مَنْ رسخ في قلبِهِ الإيمان باليوم الآخر، فهي منزلةٌ رفيعة ومقامٌ عظيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[الطور:٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[الحاقة:١٩-٢٠].

هذا الاستحضار لهُ آثارٌ طيبةٌ في سلوك المسلم، ولذلك كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عند نومهِ يقول: «اللَّهُمَّ قِنِي عذابَكَ يومَ تَبْعَثُ عبادَكَ»، ولو نظرنا إلى منهج القرآن والسُنَّة فإنهُ يرسخ هذا الإيمان في هذه العلاقة ما بين الإيمان والعمل الصالح، حتى ذكَر العلماء -رَحِمَهُم اللَّهُ- أنَّ القرآن اشتمل على أكثر من مئتين موضع ذُكِر فيها هذا التلازم ما بين الإيمان والعمل الصالح.

✵ فإذا جاء النص مذكرًا بعملٍ صالح يذكر قبل ذلك الإيمان باليوم الآخر، ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[الطلاق:٢]، وجاء في الحديث: «مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ»، وفي رواية «فليكرم ضيفه»، وفي رواية «فليقل خيرًا أو ليصمت»[٢١]، كل ذلك يرسخ في قلوبنا الإيمان باليوم الآخر.

اللهم إنَّا نسألك إيمانًا كاملًا ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا ورزقًا واسعًا، وعملًا صالحًا متقبلًا.

---

(٢١) صحيح.

الدرس الخامس عشر: اليوم الآخر ولقاء الله عز وجل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

قال الله -جَلَّ وَعَلَا- في سورة الفاتحة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، الإيمان && الله.

من المظاهر الدالة على ضعف الإيمان باليوم الآخر: ضعف الإيمان بلقاء الله تعالى -جل جلاله-، يقول الحقّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[يونس:١٥]، لماذا قالوا ذلك؟ لضعفِ لقاء الله في قلوبهم.

وفي المقابل نجد أنَّ أهل الطاعة في محراب عبوديتهم لله الواحد الديان، لا يقوون على فعل الطاعات إلا باستحضارهم للقاء الله، ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:٤٥-٤٦].

كمل علمهم بلقاء الله وهم يرون في كل يومٍ أسراب الجنائز تتقدم للقاء الله -جَلَّ وَعَلَا- في ذلك اليوم العظيم.

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقْطَعُهَا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ

يقول علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «ارتحلت الدنيا مدبرةً وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدةٍ منها بنون، فكونوا من أبناء الآخر ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل»، ويقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين»[٢٢].

وأنت تقرأ في الفاتحة كل يومٍ قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، لا يزال هذا الإيمان يهدي العبد إلى كل خيرٍ، ويدلهُ على كل فلاحٍ، وعلى كل سعادةٍ في الدنيا والآخرة، وانظروا إلى المفارقة في قصة طالوت مع قومهِ، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾[البقرة:٢٤٩].

---

(٢٢) حسنه الألباني.

وجاء في سياق هذه الآية ساعة المفارقة والنصر والهزيمة الَّتِي ذكرها الله -جَلَّ وَعَلَا- في هذه الآية، وهي تتوقف على مدى رسوخ الإيمان بلقاء الله في حياة القوم، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:٢٤٩].

فما صبر في ميدان الجهاد وإعلاء كلمة الله إلا الَّذِين يظنون أنهم ملاقوا الله، أمَّا مَنْ لم يرسخ الإيمان في قلبِهِ، ﴿قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾[البقرة:٢٤٩].

فلنستشعر هذه المعاني في سورة الفاتحة ونحن نقرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فاللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس السادس عشر: الفاتحة وتقرير الإيمان بالقدر (١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الفاتحة وتقريرُ الإيمان بالقدر

۞ ومن هدايات هذه السورة العظيمة بيانها وتقريرها للإيمانِ بأقدار الله تعالى، فالإيمانُ بالقدر أصلٌ من أصول الإيمان الستة:

❁ أنْ يؤمن العبدُ أنَّ الله على كل شيءٍ قدير.

❁ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

❁ والأمور كلها تحت تدبيره وتصريفِهِ، لا معقب لحكمِهِ ولا راد لقضائِهِ.

وهذا أصلٌ من أصول الإيمان لا يُقبل من العبد طاعةٍ ولا ينتفع بعملٍ، ما لم يكن مؤمنًا بذلك.

يقول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[النحل:٧٧]، ويقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨]، والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ جدًّا لتقريرِ هذا الأصل العظيم.

✍ يقول الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (مَنْ كذّب بالقدر فقد كذّب بالإسلام).

✍ ويقول عبد الله بن عمر: (لو أنَّ لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا فأنفقهُ ما قبل الله منهُ حتى يؤمن بالقدر).

وإذا تأملنا سورة الفاتحة ففي الآية الأولى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

★ هذه الآية فيها الحمد لله والثناءُ عليه، وعلى أسمائِهِ الحسنى وصفاتِهِ العظيمة، ومن أسمائِهِ الَّتِي نحمدهُ عليها القدير، فالله تعالى يُحمَد على أسمائِهِ وصفاتِهِ ونعمِهِ وعطائِهِ.

ومما نحمد الله تعالى عليهِ نعمة الإيمان الَّتي هدانا إليها، ومَنَّ علينا بها، وهذا الإيمان نعلم يقينًا أنهُ بتقدير الله -جَلَّ وَعَلَا-، كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[الحجرات:٧]، وقال تعالى: ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾[الحجرات:٨].

❁ فالهدايةُ للإيمان فضلٌ من الله -جَلَّ وَعَلَا-، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾[النور:٢١]، ويقول سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[الحجرات:١٧].

فالعبدُ يرددُ سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين، فهو يحمد الله -جَلَّ وَعَلَا- على أسمائهِ وصفاتهِ وعظمتهِ وجلالهِ وكمال قدرتهِ، وعظيم إرادتهِ، وعلى تصرفهِ وتدبيرهِ في هذا الكون.

★ إنَّ الإيمان بالقدر هو نظامُ التوحيد، وعندما نقرأ هذه السورة العظيمة نرددها سبع عشرة مرة فإننا نستشعرُ هذه المعاني العظيمة، وللحديث بقية، نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أنْ يرزقنا إيمانًا كاملًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وتوبةً نصوحة، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس السابع عشر: الفاتحة وتقرير الإيمان بالقدر (٢)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده.

۞ ومن هدايات سورة الفاتحة: تقرير الإيمان بالقدرِ، وترسيخهِ في نفوس المؤمنين.

بيَّنا في الدرس الماضي تقرير الإيمان بالقدر في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، واليوم إنْ شاء الله نتحدّث عن بقية الآيات في سورة الفاتحة.

★ ففي قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، فيهِ إيمانٌ بالقدر؛ لأنك أيضًا ترجو رحمة الله تعالى، ومن خلال هذا الرجاء تعرف أنك فقيرٌ إلى الله محتاجٌ إليهِ، وإلى هدايتهِ ومنتهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وعطائهِ وفضلهِ ورحمتهِ، فلا غنى لك عنهُ طرفة عين.

❋ **قال تعالى:** ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، إيمانٌ بالقدر، فأنت تستعينُ بالله؛ لأنهُ القادر على كل شيء، وتطلب عونهُ لأنَّ بيدهِ أزمة الأمور، ويتصرفُ في خلقهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كيف يشاء.

❋ **قال تعالى:** ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، إيمانٌ بالقدر؛ لأنك تطلب الهداية ممَنْ بيدهِ الهداية، قال الله تعالى لنبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[القصص:٥٦]، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾[البقرة:٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر:٨].

وكان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا خطب الناس قال في خطبتهِ: «**إنَّ الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ، ومَنْ يهدهِ الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له**»[٢٣]، وجاء في الحديث إنَّ الله تعالى يقول: «**يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»[٢٤]، أي: اطلبوا مني الهداية أوفقكم إلى سلوك طريقها.

---

(٢٣) صحيح.

(٢٤) حديث صحيح (أخرج مسلم) رواه أبو ذر الغفاري.

وكان نبينا -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يحث أصحابهُ على سؤال الله -جَلَّ وَعَلَا- الهداية، كقوله لعلي -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ-: «قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي» [٢٥]، وجاء من دعائهِ -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اللَّهُمَّ إِنِي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعفَافَ، والغنَى» [٢٦]، وجاء كذلك في الحديث عن النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الدعاء «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ» [٢٧]، وفي دعاء القنوت «اللَّهُم لَكَ أَسْلَمْتُ وبِكَ آمَنْتُ، وعليكَ تَوَكَّلْتُ، وإِلَيكَ أَنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ. اللَّهمَّ إني أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لا إِلَه إلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي فأَنْت الحَيُّ الَّذي لاَ تَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يمُوتُونَ» [٢٨].

★ ومن دعائهِ -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اللَّهمَّ مُصرِّفَ القُلوبِ صرِف قلوبنا على طاعتك» [٢٩]، وكان أكثر دعائهِ -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» [٣٠]، وكل هذه الأدعية إنما هي إيمانٌ من العبدِ بأنَّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على كل شيءٍ قدير، وأنَّ الهداية بيد الله -جَلَّ وَعَلَا-.

❁ وفي قولك: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧]، إيمانٌ منك بأنَّ النعمة إنما هي من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، سواءٌ أكانت هذه النعمة متعلقةٌ بالصحة أو بالمال أو الهداية، أقصد هداية الطاعة والإيمان.

➢ فالسورة تدلّ وتشمل على الإيمان بالقدر من وجوهٍ كثيرة، والمسلم الَّذِي يردد هذه السورة العظيمة يستشعر معانيها، ويؤمن بدلالتها لا بد أنْ يؤمن بالقدر، وأنَّ الأمور كلها بقدرة الله -جَلَّ وَعَلَا-، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وللحديث بقية.

---

(٢٥) حديث صحيح (صحيح النسائي) رواه علي بن أبي طالب.
(٢٦) (أخرجه الترمذي واللفظ له وأخرجه مسلم) رواه عبد الله بن مسعود.
(٢٧) حسن صحيح (سنن الترمذي وابن ماجه) رواه الحسن بن علي بن أبي طالب.
(٢٨) إسناده صحيح (أخرجه البخاري مختصرًا ومسلم) رواه عبد الله بن عباس.
(٢٩) حديث صحيح (أخرجه مسلم) رواه عبد الله بن عمرو.
(٣٠) صحيح.

الدرس الثامن عشر: الفاتحة وتقرير الإيمان بالقدر (٣)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده.

وبعد...

وبعد أنْ بيّنا في الدروس الماضية ما ورَد في سورة الفاتحة من تقرير الإيمان بالقدر، فينبغي أنْ يعلم كل مسلمٍ أهمية الإيمان بالقدر، وعظيم مكانتهِ، وكبير عوائدهِ على العبد في دينهِ ودنياه، فهو يعطي القلب قوةً وثقةً بالله، وحسن صلةٍ بالله -جَلَّ وَعَلَا-، وإقبالًا على طاعتهِ، وقوةً في الافتقار إليه والالتجاء إليه، وسؤالهُ وحده والتوكل عليهِ، وطلب العون منه، والإكثار من سؤال الهداية والتوفيق والسداد.

★ وأيضًا قوة العبادة والطاعة وقوة الصبر في المصائب؛ لأنَّ مَنْ يؤمن بالقدر يعلم أنَّ ما أصابهُ لم يكن ليخطئه، وأنَّ ما أخطأهُ لم يكن ليصيبه، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[التغابن:١١].

فالإيمانُ بالقدر من أسباب هداية القلوب إلى كل خيرٍ، وإلى كل فلاح، وإلى كل رفعةٍ في الدنيا والآخرة، ولهذا يقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذلكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فكانَ خَيْرًا له»[٣١].

فالمؤمنُ في كل أحوالهِ ملتجئٌ إلى الله -جَلَّ وَعَلَا-، إذا كان صحيحًا معافى، أو غنيًا، فإنهُ يحمد الله -جَلَّ وَعَلَا-، وإنْ كان مريضًا يصبرُ على ما أصابه ويسأل الله -جَلَّ وَعَلَا-، وإنْ كان فقيرًا يدعو الله بالدعاء المأثور عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللهمّ اكْفِنِي بحلالِكَ عن حرامِكَ وأغْنِنِي

(٣١) صحيح (أخرجه مسلم) رواه صهيب بن سنان الرومي.

بفضلكَ عمن سواكَ»[٣٢]، فهو يلتجئ إلى الله -جَلَّ وَعَلَا- لأنهُ مؤمنٌ بأنَّ الأمور كلها بقدرة الله -جَلَّ وَعَلَا-.

★ ولهذا الإيمان بالقدر لهُ أثرٌ مباركٌ وثمارٌ عظيمة لا حصر لها ولا عد، ولو نظرنا إلى صلاح العبد في دينه ودنياه، فإننا نجدُ أنَّ العبد بحاجةٍ إلى إيمانهِ العميق بقدرة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، فيلهج لسانهُ بكثرة ذكر الله -جَلَّ وَعَلَا-، فإذا عطّل الإنسان الإيمان بالقدر فسد عليهِ كل شيء، وحرم من كل خير، وباء بكل خيبةٍ وحسرةٍ وندامةٍ في الدنيا والآخرة.

✱ وهذا مما يبين لنا أنَّ الإيمان بالقدر أساسٌ لا تقوم شجرة الإيمان إلا عليهِ، فلا تثمر ولا تزهرُ إلا بوجود هذا الأصل المبارك، وكلما قوي إيمان العبدُ بالقدر قوي الخير فيهِ، وزاد ونما وكثر، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[إبراهيم:٢٤].

✍ جاء عن عبد الله بن عباسٍ أنهُ قال: (الإيمانُ بالقدر نظام التوحيد، فمَنْ آمن بالله وكذّب بالقدر نقض تكذيبهُ التوحيد)، وكلامهُ واضحٌ -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ-، أي: أنَّ التكذيب بالقدر تكذيبٌ بالإيمان وتكذيبٌ بتوحيد الرحمن سبحانه.

✹ ومما يزيد هذا الأمر وضوحًا قول الإمام أحمد -رَحِمَهُ اَللهُ-: (القدرُ قدرة الله -جَلَّ وَعَلَا-، والله -جَلَّ وَعَلَا- قديرٌ على كل شيء)، ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[النحل:٧٧].

فالذي يكذب بالقدر يكذبُ بقدرة الله -جَلَّ وَعَلَا-، فهو في الحقيقة مكذبٌ بالله، اللهم إنَّا نسألك إيمانًا كاملًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، ويقينًا صادقًا، حتى نعلم أنهُ لا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

---

(٣٢) حديث حسن غريب (أخرجه الترمذي) رواه علي بن أبي طالب).

الدرس التاسع عشر: الفاتحة وتقرير الإيمان بالقدر (٤)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد تقرير الإيمان بالقدر من خلالِ سورة الفاتحة، فينبغي أنْ نعلم جميعًا أنَّ الكلام في موضوعات القدرِ على طريقين:

❁ **أمَّا الطريقة الأولى**: فهي أنْ يخوض الإنسان في مسائلِ القدرِ بعقلهِ المجرد، وبفكرهِ القاصر، ويترك كلام الله وكلام رسولهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويضع القرآن والسُّنَّة جانبًا، ثم يخوض بعقلهِ وبفكرهِ وبرأيهِ المجرد في مسائل القدر، بل وفي دقائق أحكامهِ، فهذا باطلٌ وضلالٌ ولا يفضي بصاحبهِ إلا إلى الردى، كما قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[فصلت:٢٣].

❁ **أمَّا الطريقة الثانية وهي الصحيحة**: أنْ يكون كلام الإنسانِ في مسائل القدر على ضوء الدليلِ من الكتاب والسُّنَّة، فيصلُ بإذن الله -جَلَّ وَعَلَا- إلى كل قولٍ سديد، وإلى كل فعلٍ رشيد، وقد دلّت النصوص على أنَّ العبد لا يكون مؤمنًا بالقدر حتى يؤمن بمراتبهِ الأربع، اَلَّتِي دلّ عليها كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وسُنَّة نبيهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

❁ وهي كالآتي:

❁ **أوَّلًا**: الإيمانُ بعلم الله المحيط بما كان، وما سيكونُ، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق:١٢]، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[الجن:٢٨]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[سبأ:٢].

❁ **وأما الأصل الثاني من أصول الإيمان بالقدر:** فهو الإيمانُ بأنَّ الله كتب مقادير الخلائق، وجميع ما هو كائنٌ في اللوح المحفوظ، قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[القمر:٥٢-٥٣]، وجاء في الحديث «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» (٣٣).

❁ **أمَّا الأصل الثالث:** فهو الإيمانُ بمشيئة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- النافذة، وقدرتِهِ الشاملة، وأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٨-٢٩]، فلا حركة ولا سكون ولا حياة ولا موت، ولا خفض ولا رفع، ولا هداية ولا ضلال، إلا بمشيئة الله -جَلَّ وَعَلَا-.

❁ **أمَّا الأصل الرابع:** فهو الإيمانُ بأنَّ الله خالق كل شيء، والله خالق كل شيء، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، والعالَمُ مَنْ سوى الله -جَلَّ وَعَلَا- فكل ما سوى الله خلقهُ وأوجدهُ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

فما أغنى قلوبُ أهل التوحيد وهم يقرؤون سورة الفاتحة، وقد امتلأت قلوبهم فقهًا وعلمًا ويقينًا بهذه الأصول العظيمة، ويدركون أيضًا أنَّ النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» (٣٤)، فيبذلون الأسباب ويجاهدون النفس على العملِ اعتمادًا وتوكلًا على الله -جَلَّ وَعَلَا-، وتفويضًا للأمورِ كلها إليهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

---

(٣٣) صحيح.
(٣٤) صحيح.

الدرس العشرون: الفاتحة والدعاء (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده.

وبعد ...

الفاتحة والدعاء.

۞ **إنَّ المتدبر لهذه السورة العظيمة الخاشع عند تلاوتها، المستظهر لمعانيها،** ليدرك أنَّ الآيات الأوائل من هذه السورة العظيمة إلى قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، يدرك تمامًا أنها تتضّمن حمد الله والثناء عليهِ، وتمجيدهُ، وإقرارهُ وحدهُ لا شريك لهُ بالعبادة والاستعانة بهِ.

ثم يأتي بعد ذلك الدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، فالدعاء بوابة الدخول الكبرى على الله، وبهِ تتجلى حقيقة الافتقار والتوحيد، فما أعظم هذه السورة حين يلهم الله -جَلَّ وَعَلَا- عبدهُ قلبًا خاشعًا عند تلاوتها والصلاة بها! فيدركُ أنَّ من أعظم العطايا العظيمة لهُ في هذه الحياة أنْ يلهمهُ الله -جَلَّ وَعَلَا- الدعاء، وأنْ ييسر ذلك له.

★ **صح عن النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ-** قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل**»، ثم جاء في الحديث: «**إذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**»[٣٥]. إنهُ دعاء الفاتحة.

✹ **خُتمت هذه السورة العظيمة بالدعاء،** أهم ما يحتاجهُ العبد في دينهِ ودنياه، حاجة العبد إلى أنْ يهديهُ الله -جَلَّ وَعَلَا- الصراط المستقيم أعظم من حاجتهِ إلى الطعام والشراب والنفس، ولا نجاة من العذاب، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية.

---

(٣٥) حديث صحيح (أخرجه مسلم) رواه أبو هريرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اَللَّهُ-: (دعاءُ الفاتحة هو أجل مطلوب، وأعظم مسؤول، ولو عرف الداعي قدر هذا السؤال، لجعلهُ ديدنهُ وقرنهُ بأنفاسهِ، فإنهُ لم يدع شيئًا من خير الدنيا والآخرة إلا تضمنه).

✵ الفاتحة نورٌ فُتِح لها باب من السماء لم يُفتَح من قبل، ونزل بها ملكٌ لم ينزل قط، واختص بها نبينا -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دون سائر الأنبياء والرُسل -عَلَيْهِم اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ووعد بإعطاء ما احتوت عليهِ من المعاني، فإذا سألت الله تعالى الصراط المستقيم، صراط اَلَّذِين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، فاعلم أنهم عرفوا الحقّ وعملوا بهِ، فجمعوا ما بين العلم والعمل.

فندعو الله -جَلَّ وَعَلَا- صدقًا وإخلاصًا ويقينًا أنْ يهدينا الله -جَلَّ وَعَلَا- طريقهم، وأنْ يجنبنا طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود اَلَّذِين عرفوا الحقّ ولم يعملوا بهِ، فذمهم الله -جَلَّ وَعَلَا-، ثم ندعو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أنْ يجنبنا طريق النصارى اَلَّذِين ضلوا في باب العمل بلا حُجَّةٍ ولا دليلٍ ولا برهان.

ولذلك قال العلماء: (مَنْ فسد من علمائنا ففيهِ شبهٌ من اليهود اَلَّذِين يعلمون ولا يعملون، ومَنْ فسد عبادنا ففيهِ شبهٌ من النصارى اَلَّذِين يعملون بلا علم)، ولا نجاة إلا بتوفيق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولزوم هذا الدعاء العظيم وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الحادي والعشرون: الفاتحة والدعاء (٢)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

تحدثنا في الدرس الماضي عن الفاتحة والدعاء، ولنعلم أنَّ من أشرف مقامات العبودية بين يدي الله أنْ يقف العبد خاضعًا خاشعًا وهو يردد في الفاتحة هذا الدعاء العظيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، ما أجمل مناجاة العبد لربه بهذا الدعاء، وهو يستشعر فقرهُ وذلهُ ومسكنته، وحاجتهُ إلى هداية الله له، وإلى صراط الله المستقيم.

إننا ندعو الله -جَلَّ وَعَلَا- بهذا الدعاء كل يوم، ما لا يقل عن سبع عشرة مرة، ونؤمن عليهِ ست مرات؛ طلبًا للهداية إلى الصراط المستقيم الَّذِي سلكهُ الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، فجديرٌ بنا جميعًا أنْ نعلم أنَّ سورة الفاتحة اشتملت على شروط الدعاء وآدابهِ الَّتِي إذا تحلّى بها المؤمن واتصف بها أجيب بإذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- دعاءهُ، وحقق رجاؤهُ وأعطي سؤالهُ.

فأوّل هذه الشروط الَّتِي تضمنتها سورة الفاتحة: هو الإخلاص لله -جَلَّ وَعَلَا-، وهو شرطُ الدعاء الأعظم، وقد جاء ذكرهُ مقدمًا بين يدي الدعاء في سورة الفاتحة بقول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

اهدنا: أنت يا الله، فلا ندعو، ولا نرجو، ولا نستعين، ولا نستغيث إلا بك يا الله، فمَنْ صرف الدعاء لغير الله فقد أشرك ودعاؤهُ باطلٌ مردود.

فأين مَنْ يقرؤون الفاتحة ويرددون ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهم يدعون الحسين وفاطمة، ولربما ذرف أو ذرفوا دموعهم عندما يرفعون الحاجات أنْ تُقبَل أمام عتبات المشاهد وقبور الصالحين والأولياء! سبحانك اللهم هذا بهتانٌ عظيم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

★ ثم لنعلم أنَّ من شروط الدعاء المتابعة للرسول -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وقد اشتملت الفاتحة بقول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: الطريق القويم والمسلك الرشيد اَلَّذِي كان عليه نبينا -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فأعظم الدعاء بركةً وأثرًا هو الدعاء بالمأثور عن النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأنْ يتحرّى العبدُ فيه جوامع الدعاء، ولا يدعو فيه بمعصيةٍ ولا قطيعة رحم، كل ذلك اقتداءً بالنبي -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

❋ ومن شروط الدعاء في الفاتحة: الإلحاح على الله -جَلَّ وَعَلَا-، وألا ييأس العبد وينقطع ويقول: دعوت ودعوت ولم يُستجب لي، وقد دلّت الفاتحةُ على هذا الشرط، فهي السبع المثاني تُقرأ وجوبًا في كل ركعة.

❋ ومن شروط الدعاء: الجزم بالدعاء، والعزمُ في الطلبِ والمسألة، ورسولنا -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إنْ شئت ليعزم المسألة، فإنهُ لا مستكره له» [٣٦]، ودلّت الفاتحةُ على ذلك، من حيث العزمِ والصدق في طلب الهداية رجاء ذلك من الله، مع البعد عن الارتخاء والفتور في السؤال والطلب.

❋ ومن شروط الدعاء: حضور القلب وعدم الغفلة عند الدعاء، قال -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ادْعُوا اللهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ، واعلمُوا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قلْبٍ غافِلٍ لَاهٍ» [٣٧].

➢ والفاتحة اشتملت على هذا الشرط من حيث: التهيؤ اَلَّذِي يأتي الداعي في تلك المقدمة العظيمة بين يدي السؤال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، فلم يبدأ الدعاء مباشرةً ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، وإنما جاء ذكر الله -جَلَّ وَعَلَا- وتعظيمهُ وتمجيدهُ -جَلَّ وَعَلَا- والثناء عليه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وهكذا -أيها الأخوة- اشتملت الفاتحةُ على كل معاني القرآن من عبادةٍ وعقيدةٍ ومنهج حياة.

★ ولذلك عندما نقرأ الفاتحة فينبغي لنا أنْ نستشعر هذه المعاني العظيمة الجليلة، فاللهم اهدنا الصراط المستقيم، صراط اَلَّذِين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثاني والعشرون: الفاتحة وركائز العبودية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

۞ **ومن هدايات سورة الفاتحة**: أنَّ فيها إشارةً إلى أركان العبودية القلبية؛ الحبُّ والخوف والرجاء، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[الإسراء:٥٧].

❋ **فمن القواعد المهمة والمسالك المنهجية**: أنْ يعلم العبد أنَّ عبادة الله -جَلَّ وَعَلَا- لا تقوم إلا باجتماعِ هذه الأركان الثلاث، فلا يجوز للعبدِ أنْ يتقرّب إلى الله -جَلَّ وَعَلَا- عبادةً بالحبِ وحدهُ دون خوفٍ ولا رجاء، أو بالخوفِ وحدهُ دون محبةٍ ولا رجاء، أو بالرجاء وحدهُ دون محبةٍ ولا خوف.

✍ **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-**: **(مَنْ عبد الله بالحب وحدهُ فهو زنديق، ومَنْ عبد الله بالخوف وحدهُ فهو حروري، ومَنْ عبد الله بالرجاء وحدهُ فهو مرجئ، ومَنْ عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمنٌ موحد)**.

لنرى كيف اشتملت سورة الفاتحة على الإشارة لهذه الركائز والأركان القلبية:

★ **ففي قول الله -جَلَّ وَعَلَا-**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، فالحمدُ هو الثناءُ على الله مع حبهِ -جَلَّ وَعَلَا-، فالثناءُ مع الحبِ يُسمَّى حمدًا، **وهذا هو الركن الأوَل**.

★ **وأمَّا الرجاء**: فجاءت الإشارة إليه في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، إذا قرأ العبد هذين الاسمين العظيمين، وفهم ما دلّ عليهِ من ثبوت الرحمة لله -جَلَّ وَعَلَا- وقع في قلب العبد إنْ كان متأملًا متدبرًا رجاء رحمة الله -جَلَّ وَعَلَا-، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾.

وإذا قرأ العبدُ في الفاتحة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، واستحضر القارئ وقوفهُ بين يدي الله -جَلَّ وَعَلَا- للحسابِ والجزاء والميزان والصراط، وقع في قلبِهِ الخوفُ مع رجاء الله -جَلَّ وَعَلَا- بأنْ يغفر الله -جَلَّ وَعَلَا- لهُ، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم:٣١].

وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥]، فكأنك تقول أيها العبد: إياك نعبد يا الله بالحب الَّذِي دلّ عليهِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، وبالرجاء الَّذِي دلّ عليه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، وبالخوف الَّذِي دلّ عليهِ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤].

وعلى هذا: فالقلبُ في سيرهِ إلى الله -جَلَّ وَعَلَا- بمنزلة القائد، فالمحبةُ رأسهُ والخوف والرجاءُ جناحاه، وبهذا يصلح القلب ويستقيم، ويُرجَى لهُ يوم القيامة النجاة ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء:٨٨-٨٩].

فإذا امتلأ قلب العبدِ حبًا وخوفًا ورجاءً، فإنهُ يسير إلى الله -جَلَّ وَعَلَا- بهذا القلب السليم الَّذِي سلِم من كل شبهةٍ تعارض أمر الله، ومن كل شهوةٍ تعارضُ خبر الله، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثالث والعشرون: الفاتحة والمحبة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ولي الصالحين، والصلاةُ والسلام على مَنْ بعثهُ الله رحمةً للعالمين.

اللهم إنَّا نسألك حبك وحب مَنْ يحبك، وحب عملٍ يقربنا إلى حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ومن الماء البارد.

حديثنا في هذا المقام عن **منزلةٍ عظيمة من منازل السائرين إلى الله**، وعن مرتبةٍ عظيمة من أعظم مقاماتِ مراتب العبودية إلى رب العالمين، إنها محبة الله والشوق إليهِ، أشرف المقامات وأسمى الدرجات، وأعلى المراتب، أقرب طريق للوصول إلى أعظم محبوبٍ -جل جلاله-.

ففي سورة الفاتحة في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، الإشارة إلى هذه المنزلة العظيمة، وهي **منزلة المحبة، فالحمدُ هو الثناءُ على الله مع المحبة**، فمحبةُ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هي المنزلةُ الَّتِي يتنافسُ فيها المتنافسون، ويشخص إليها العاملون، هي قوت القلوبِ وغذاءُ الأرواح، وقرة العيون، هي الحياة الَّتِي مَنْ حرمها فقد حُرِم الخير كلهُ، هي النور الَّذِي مَنْ فقدهُ فهو في بحار الظلمات، هي الشفاء الَّذِي مَنْ عدمهُ حلت بقلبهِ جميع الأسقام، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

★ **ليس الشأن كما قال أهل العلم أنْ تحب الله**، ولكن الشأن والله كل الشأن هو أنْ يحبك الله -جل جلاله-، يحبك الله في أعمالك كلها، ظاهرها وباطنها، ينظر -جل جلاله- إلى مستقر الإيمان والمحبة والتعظيم والجلال، ينظر إلى قلبك أيها العبد، فلا يرى الله -جَلَّ وَعَلَا- في قلبك إلا أنوار التوحيد تتلألأ نورًا وإشراقًا، يرى الله -جَلَّ وَعَلَا- في قلبك مستقر إيمانك ويقينك بالله.

هذه العلاقةُ ما بين الإيمان والمحبة هي علاقة الصدق مع الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]، ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[الأنفال:٧٠]، إذا امتلأ قلبك إيمانًا واستقامةً عكف في محراب العبودية لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، فطيبُ الحياة والنعيم إنما هو في معرفة الله وتوحيدهِ -جل جلالهُ-.

❁ إنهُ الأنس والشوق إلى لقائهِ، واجتماعُ القلبِ والهم عليه، فليس لقلبهِ مستقرٌ يستقر عندهُ، ولا حبيبٌ يأوي إليهِ، ويسكن إليه إلا الله -جل في علاه-، وما ذلك إلا بالإيمان والتسليم لأمرهِ، وسماع كلامهِ -جل في علاه-.

۞ فلو تنقل قلبك في المحبوبات كلها فلا والله لا يسكنُ ولا يطمئن إلى شيءٍ منها، حتى يطمئن إلى الله إلهَهُ وربهُ ووليهُ الَّذِي ليس لهُ مما دونهِ وليٌّ ولا شفيع، ولا غنى له طرفة عين، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

✍ يقول بعض الواجدين في مقامات المحبة: (إنهُ ليمرُ بالقلب أوقاتٌ أقول: إنْ كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيب)، وقال آخر: (إنهُ ليمر بالقلب أوقاتٌ يرقص فيها طربًا)، وقال آخر: (مساكينٌ أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: معرفة الله، ومحبة الله، والأنس بهِ -جل جلاله- يحبهم ويحبونه).

❁ تأمل أيها المحب إلى أسماء الله -جل جلاله- في كتابهِ، تزداد بها إيمانًا ومحبةً ورجاءً فيما عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، أسماءً الله -جَلَّ وَعَلَا- فيها أسماء الرحمة والود والعطف ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[البروج:١٤]، فيها الخلق والرزق والإحياء والإماتة ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨].

في أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- العلم والإحاطة، وكان بكل شيءٍ محيطًا، فيها القدرةُ والمغفرة، فيها أسماء الجمال والجلال والكمال، هو الرحمن الرحيم، الغفور، الودود، اللطيف، البر، الرؤوف، الرحيم -جل جلاله-، فلو تأملنا القرآن كلهُ لما وجدنا اسمًا تمخض للعقابِ والعذاب، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾[الزمر:٥٣].

★ بهذا -أيها الأخوة الكرام- يمتلئ القلب حبًا وشوقًا للقاءِ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، فاللهم إنَّا نسألك حبك وحب مَنْ يحبك، وحب عملٍ يقربنا إلى حبك والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد. **والحمد لله رب العالمين.**

الدرس الرابع والعشرون: الفاتحة والرجاء

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ومن ركائز العبودية القلبية الرجاء، ففي قول الله -جَلَّ وَعَلَا- في سورة الفاتحة: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، إشارةٌ إلى هذا المقام القلبي العظيم، يستبشر القلبُ بجودِ الله -جَلَّ وَعَلَا- وفضلِه، ويطمع في إحسانِه وعطائِه، كل ذلك مع بذل الجهدِ وحسن التوكل على الله -جَلَّ وَعَلَا-.

وبهذا يرتقي القلبُ في درجات العبودية، فيقودهُ الرجاء عند اليأس والقنوط، وعند نزغات الشيطان، ومحاصرة الذنب، فيشعرُ العبدُ عند توارد أفكارِه وتعاظم شيطانِه عليه بالهلاك والطرد من رحمة الله -جَلَّ وَعَلَا- عندها يقودهُ الرجاء إلى رحمة الله وفضلِه، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَن قال: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغي بذلك وجهَ الله دخل الجنة»، وجاء في الحديث قال الله تعالى: «يا ابنَ آدمَ! لَوْ أَتَيْتَني بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا ثُمَّ لَقِيتَني لاتُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً».

فيا لسكينة هذه النفس بعد ظلمة المعصية، ويا لعظيمِ فرح القلب بأنوار هذا المقام العظيم، يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الكَيِّسُ مَن دان نَفْسَه وعمِل لِمَا بعدَ الموتِ، والعاجِزُ مَن أَتْبَع نفسَه هواها وتمنَّى على الله الأماني».

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-: (أجمع العارفون على أنَّ الرجاء لا يصلحُ إلا مع العمل، وكل مسلمٍ محتاجٌ إلى الرجاء؛ لأن المسلم يدور بين ذنبٍ يرجو غفرانه وعيبٍ يرجو إصلاحه، وعملٍ صالحٍ يرجو قبوله، واستقامةٍ يرجو حصولها والثبات عليها، وقربٍ من الله يرجو والوصول إليه).

لذلك كان الرجاءُ من أهم الأسباب الَّتي تعين المرء على السير إلى ربهِ والثبات على دينهِ وطاعتهِ.

ومما ينبغي للمسلم الحذر منهُ: أنْ يفتح الشيطان عليهِ أمام أحاديث الرجاء بوابة الترخص، فيقيم دينهُ وتدينهُ على الفتاوى الشاذة وسقطات العلماء، فمَنْ تتبع رخص العلماء تزندق، وكذلك مما ينبغي للمسلم الحذر منهُ في باب الإيمان، ونحن نتحدث عن عبادة الرجاء الوقوع في أقوال المرجئة المخالفة لأهل السُنَّة والجماعة في أصل العقيدة.

★ فأهل السُنَّة والجماعة يقولون: أنَّ الإيمان قولٌ وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأهل الإرجاء يخالفون ذلك وغيرهِ، فالإيمان عندهم هو التصديق والقول فقط، فلا يزيد ولا ينقص ولا دخل للطاعة والمعصية في مسمى الإيمان، فكان قولهم هذا من أخبث الأقوال، وأعظم الأبواب فتنةً على المسلمين.

فما فُتِح باب الذنوب والمعاصي إلا عندما أخذ الناس بهذه الآراء المخالفة لمنهج الله -جَلَّ وَعَلَا- وسُنة النبيّ -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وبذلك تقحم الناسُ على أبواب الذنوب المهلكات وقوعًا في الذنوبِ، وبعدًا عن الطاعاتِ، وانغماسًا في الشهوات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

اللهم أرنا الحقّ حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الخامس والعشرون: الفاتحة والخوف

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

۞ ومن العبادات القلبية الَّتِي أشارت إليها سورة الفاتحة: عبادة الخوف من الله -جَلَّ وَعَلَا-، الخوف أسرع المطايا إلى الله، وهو مع المحبة والرجاء من أعظم محركات القلوب إلى علام الغيوب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، الخوفُ هو خاصية أهل التذكر، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾[الأعلى:١٠]، الخوفُ ثمرةٌ من ثمرات الهداية، وفي نسختها هدًى ورحمةٌ للذين هم لربهم يرهبون.

★ وأهل العلم هم أهل الخوف والخشية، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨]، فالخوفُ إجمالًا من أعظم الأعمال الصالحة، قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٤٦]، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[إبراهيم:١٤]، والشيءُ الَّذِي ينبغي أنْ يخاف العبد منهُ يرجع إلى أمور:

❋ **الأمر الأوَل:** الخوفُ من الله -جَلَّ وَعَلَا-، وذلك أنَّ من صفات الله ما يقتضي خوف العبد منهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ فإنَّ الله -جَلَّ وَعَلَا- عزيزٌ ذو انتقام، بأسه شديد، وعذابه أليم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[الأنعام:١٤٧]، فالله -جَلَّ وَعَلَا- هو القهار، الجبار، ينتقم لِمَنْ حاده وحاد رسله، هذه صفاتٌ تقتضي الخوف من الله -جَلَّ وَعَلَا-، **ولذلك قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عن الملائكة:** ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل:٥٠]، هذا هو المتعلق الأوَل وهو الأصل.

❋ **أمَّا الأمر الثاني:** فهو الخوف من عذاب الله، فالعبد إذا سمع ما أعدهُ الله لِمَنْ عصاه من العذاب الأليم، أورث ذلك في نفسهِ الخوف من عذابهِ، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٤٦]، **قال أهل التفسير: الآيةُ تحتمل أمرين:**

❋ **الأوَل:** ولِمَنْ خاف مقامهُ بين يدي الله -جَلَّ وَعَلَا- يوم القيامة.

❁ **والثاني**: لَمَنْ خاف مقام الله، فإنَّ الله قائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت والله المستعان، فهو الشهيد والرقيب والعليم والمحيط -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

❁ **الخوف الثالث**: هو الخوفُ من عدمِ قبول الحسنة، ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾[المؤمنون:٦٠]، فسرها النبيّ -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بالرجلِ يصوم ويصلي ويتصدق ويخشى ألا يُقبل منه.

❁ **رابعًا**: الخوف من الإثم السيئة، ولذلك أُثِر عن ابن مسعود قوله: «**إنَّ المؤمن يرى ذنوبهُ كأنهُ قاعدٌ تحت جبلٍ يخاف أنْ يقع عليهِ**».

❁ **الخامس**: الخوفُ من الوقوع في السيئة مستقبلًا، ولذلك أُثِر عن السلف -رَحِمَهُم اَللهُ- أحدهم يقول: (**أدركت ثلاثين من أصحاب النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كلهم يخشى النفاق على نفسهِ**).

فالإنسانُ لا يدري ما اَلَّذِي سيكون عليه مآله، وما خاتمتهُ في هذه الحياة الدنيا، ولذلك كان من أعظم ما خافهُ الصالحون الخاتمة، لا يدرون ما هو العمل اَلَّذِي يعملونهُ مستقبلًا، وربما كانت الخاتمةُ عليهِ، **ويشتد خوف أحدهم أنْ يقع بآخر أيام حياتهِ:**

- إمَّا في الشرك.
- أو الكفر.
- أو النفاق.

☜ **إخوة الإسلام، إنَّ الخوف المحمود هو ما حجزك عن محارم الله**، أمَّا إذا زاد الخوف إلى اليأس والقنوط فهو خوفٌ مذموم، ولذلك لا بد أنْ تتوازن عبادة الخوف مع عبادة الرجاء، والمرء -كما قال العلماء رَحِمَهُم اَللهُ- طبيبُ نفسهِ، فإذا سألنا هذا السؤال وقلنا: أيهما يغلب في الحياة الدنيا؟ أيغلب جانب الخوف أم جانب الرجاء؟ **فقال بعض العلماء**: المرءُ طبيب نفسهِ، فإذا رأى منها تساهلًا وفعلًا للذنوب والمعاصي والآثام والإصرار عليهِ، فإنهُ يغلِب جانب الخوف على جانب الرجاء من أجل أنْ يردع هذه النفس، أمَّا إذا رأى من نفسهِ قنوطًا ويأسًا من رحمة الله -جَلَّ وَعَلَا- فإنهُ يغلِب جانب الرجاء على جانب الخوف.

★ **إلا أنَّ المتفق عليهِ بين العلماء**: أنَّ المرء إذا كان في انقطاعٍ عن الدنيا، وإقبالٍ على الآخرة، فإنهُ يغلب جانب الرجاء على جانب الخوف «**لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ**»[٣٨]، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

---

(٣٨) صحيح

الدرس السادس والعشرون: الفاتحة وتعظيم الله

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده.

وبعد...

حديثنا في هذا المقام بإذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن الفاتحةِ وتعظيم الله -جَلَّ وَعَلَا-، إذا نظرنا إلى هذه الصلاة بركنها الأعظم الفاتحة الَّتِي نقرأها في كل ركعة، مع هذا الخضوع والاستسلام والانقياد لله -جَلَّ وَعَلَا- في عبادة الركوع والسجود، وما يصاحب ذلك من هذه الألفاظ الَّتِي فيها من التسبيح والتنزيه لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، سبحان ربي العظيم ركوعًا، وسبحان ربي الأعلى سجودًا.

★ **فهنا يتوافق تعظيم الله -جَلَّ وَعَلَا- بالأقوال والأفعال ركوعًا وسجودًا**، تسبيحًا وتعظيمًا أنه التنزيه لله، تنزه عن النقص والعيب والشبيه، وتنزه الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

فالصلاةُ من أولها إلى منتهاها قائمةٌ على الإجلال والتعظيم لله، وبهذا يمتلئ قلبُ العبد تعظيمًا وإجلالًا لخالقِهِ -جَلَّ وَعَلَا-، فمَنْ عظّم الله سبحانه وقدّرهُ حق قدرِهِ، تحقق فلاحهُ ونجاحهُ وسعادتهُ في دنياه وآخراه، بل إنَّ تعظيمهُ لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو أساس الفلاح، **كيف يفلحِ ويسعد قلبٌ لا يعظم ربهُ وخالقهُ وسيدهُ ومولاه.**

هذا التعظيمُ لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أيها الأخوة الكرام يعدُ أساسًا متينًا يقوم عليهِ دين الإسلام، بل إنَّ روح العبادة في الإسلام قائمةٌ على التعظيم، **فما ثبت عن النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**: أنهُ كان يقول في ركوعهِ وسجودهِ: «**سبحان ذي الجبروت، والملكوت والكبرياء والعظمة**»[٣٩].

وكان يقول في سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**»، ويقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[٤٠].

---

(٣٩) حسن.
(٤٠) صحيح.

✍ ولذلك قال النبيّ -عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «فأمَّا الركوع فعظّموا فيهِ الرب -عَزَّ وَجَلَّ-»، وبهذا يظهر لنا جليًا إنَّ هذه الصلاة بأركانها فيها من الإجلال والتعظيم لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فعلًا وقولًا.

★ فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو العظيم، عظيمٌ في أسمائِهِ، وعظيمٌ في صفاتِهِ، وعظيمٌ في أفعالِهِ، وعظيمٌ في كلامِهِ ووحيِهِ وشرعِهِ وتنزيلِهِ، فالعظمةُ حقٌّ لهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لا يستحقها نبيٌّ مرسل ولا ملكًا مقرب.

☜ جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعودٍ قال: (جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال: يا محمد، إنَّا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجرُ على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع فيقول: أنا الملك، فضحك النبيّ -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر).

ثم قال رسول الله -صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧].

✹ إنَّ تعظيم الله -جل شأنهُ- فرعٌ عن معرفة العبد بخالقِهِ، فكلما كان العبدُ أعظم معرفةً بالله كان أعظم لهُ مخافةً وتحقيقًا لتقواه -جل شأنه-، وإذا عظّم القلب ربهُ -جَلَّ وَعَلَا- فإنهُ يخضع لله، وينقاد لحكمِهِ، ويمتثل أمرهُ -جل شأنهُ-.

✹ إنَّ المتأمل لواقع بعض المسلمين اليوم، وما وقعوا فيهِ من انحرافاتٍ عقائديةٍ وسلوكية، إنما منشأهُ من ضعف تعظيم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في قلوبهم، وسورة الفاتحة نقرأها كل يومٍ سبعة عشر مرة، فهي مبنيةٌ على حقّ التعظيم لله من أولها إلى آخرها، بدءًا من مقام التوحيد الخالص، وصلاح الباطن وانقياد الظاهر لله.

★ فالفاتحة بهداياتها الربانية سبيل الموحدين لتعظيم الله -جل جلاله-، فاللهم إنَّا نسألك الثبات على الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا ذاكرًا، وعملًا صالحًا متقبلًا مبرورًا، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

الدرس السابع والعشرون: الفاتحة والرقية الشرعية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الفاتحة والشفاء من الأمراض

يقول الحقّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾[الإسراء:٨٢]، القرآن يُستشفى بِهِ من الشبهة، ويُهتدَى بِهِ من الحيرة، فهو شفاء القلوب، والقلبُ هو أساس الأعمال، بصلاحِهِ صلاح العمل والجسد، يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْبُ»[٤١].

وأمراض القلوب -أيها الأخوة- في الجملة ترجع إلى نوعين اثنين:

- **النوع الأوَل:** أمراض الشبهات.
- **النوع الثاني:** أمراض الشهوات والقرآنُ شفاءٌ لها.

ونبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرشدنا إلى سورة الفاتحة الكافية الشافية، ففيها شفاءٌ لأمراض القلوبِ وأمراض الأبدان، ففساد القلب إنما يكون بسوء قصدِهِ وفساد نيتِهِ الَّتِي يتوجه بها إلى الله -جَلَّ وَعَلَا.

★ من أمثال الأمراض: الرياء، والكبر، والبغي، والظلم، وأمراض الحسد والحقد والبغضاء وسوء الظن، وهذه العلل دواءها إنما يكون بالقرآن كما قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وسورة الفاتحة على وجه الخصوص، ففيها التزكية للنفوس، وإصلاحُ هذه القلوب، ولكن ذلك إنما يكون لِمَنْ فهم وتدبر وعمِل بهذه السورة العظيمة، فبإذن الله -جَلَّ وَعَلَا- تكون لهُ شفاءً وليس بعدها من داء.

---

(٤١) صحيح.

❁ إذا نظرنا إلى الفاتحة في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥]، تذهب مرض الرياء والتصنع وحظوظ النفس أمام حقّ الله الأعظم، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥] تذهب الكبر والبطر والخيلاء والبغي والظلم وسوء الظن، وما انطوت عليهِ النفس من الحسدِ والحقدِ والبغضاء، فسبحان مَنْ جعل القرآن شفاء، وسبحان مَنْ جعل الفاتحة الكافية الشافية.

★أيها الكرام، إنَّ شرط تحقيق الوعد بالشفاء إنما هو متعلقٌ بالدرجة الأولى بهذه العقيدة الَّتِي يحملها أهل الإيمان في قلوبهم، وفي سيرهم إلى الله -جَلَّ وَعَلَا-، فهو عندما يقرأ سورة الفاتحة ويعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ الشافي هو الله -جَلَّ وَعَلَا-، عندها يمتلئ قلبهُ إيمانًا ويقينًا وثقةً بالله -جَلَّ وَعَلَا-، فإذا اجتمع اليقين والثقة بالله -جَلَّ وَعَلَا- انتفع العبد بآيات الفاتحة والقرآن غاية الانتفاع.

والدليل على ذلك: حديثُ أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ- أنهُ قرأ الفاتحة على رجل لدغتهُ عقرب، فشفاهُ الله -جَلَّ وَعَلَا- وكأنما نشط من عقال.

★ فدونك سورة الفاتحة، ففيها الشفاء والنور والهدى، نسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- أنْ يشفي مرضانا ومرضى المسلمين، وأنْ يرحم موتانا وموتى المسلمين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثامن والعشرون: الفاتحة وتزكية النفوس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده.

وبعد...

سنتحدث في هذا الدرس عن الفاتحة وتزكية النفوس، يقف العبد بين يدي خالقهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في صلاتهِ يردد الفاتحة سبع عشرة مرة، لكنهُ يقف بعقلهِ وبدنهِ وروحه، **وأشرف هذه العناصر الثلاثة**: الروح الَّتِي هي نفخةٌ غيبية من عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥].

وقد رّتب الله على هذه العناصر الثلاث عناصر الدين، فجعل الإسلام لمصلحة البدن، والإيمان لمصلحة العقل، والإحسان لمصلحة الروح، وجعل التكامل بين هذه العناصر والتوازن أمرًا مطلوبًا، فلا يهتدي الإنسان إلى صراط الله المستقيم ويكون سويًا إلا بمجموع هذه المقامات الثلاث، فلا بد من العناية بها جميعًا، والسير بها في خطٍ واحدٍ متواز؛ حتى لا يحصل ميلٌ أو اعوجاجٌ في هذه النفس البشرية.

إلا أنَّ أهم هذه الجوانب وأشدها خطرًا: هو عنصر الإحسان الَّذِي لا يكمل إيمان المسلم إلا بهِ، وعنصر الإحسان إنما هو متعلقٌ بتزكية هذه النفس، فمَنْ رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نبيًا ورسولًا، **لا بد من سعيهِ بتزكية نفسهِ بأمرين**:

- آداب التخلية.
- وآداب التحلية.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس:٩-١٠]، **والمعنى**: قد أفلح مَنْ زكاها بطاعة الله، وطهرها من الرذائل والأخلاق الدنيئة، والنفسُ -كما قال العلماء- واحدة باعتبار ذاتها، وثلاثٌ باعتبار صفاتها:

* نفسٌ مطمئنة وهي الَّتِي سكنت إلى ربها وطاعتهِ وأمرهِ، فاطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى لقائهِ ووعدهِ، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[الفجر:٢٧-٢٨].

* وهناك نفسٌ لوامة، فهي النفس اللوّام الَّتِي تندم على ما فات وتلوم عليهِ، قال الله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[القيامة:١-٢].

* وهناك نفسٌ ثالثة، وهي الأمارة بالسوء، وهي الَّتِي تأمر صاحبها بما تهواهُ من الشهوات، والغي واتباع الباطل، ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[يوسف:٥٣].

* **أيها الأخوة الكرام، ونحن نقرأُ سورة الفاتحة فمَنْ حافظ على هذه الصلوات الخمس واستظهر هدايات سورة الفاتحة الَّتِي تحدثنا عنها فيما مضى فوالله إنهُ ليجد لإيمانهِ حلاوةً، ولذكرهِ وعبادتهِ ودعائهِ حلاوة،** وأنسًا بالله الواحد الديان، وعندها حدِث عن إشراقةِ هذه النفس، وأثر ذلك الإيمان على قلب صاحبهِ وتزكيتهِ، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس التاسع والعشرون: الفاتحة والابتلاء

الحمد لله، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده.

وبعد...

۞ من المسلمات عند المسلمين إيمانهم بسُنَّة الله -جَلَّ وَعَلَا- في الابتلاء، ونزول البلايا والمصائب، وأنهُ لا يختص بها أحدٌ دون أحد، فقد تنزل بالبرِ والفاجر، والمسلم والكافر، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت:١-٣].

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما يزال بالمؤمنِ والمؤمنة في نفسهِ وولدهِ ومالهِ حتى يلقى الله تعالى وما عليهِ خطيئة»[٤٢].

★ وسورة الفاتحة يستلهم منها المؤمن موقفهُ وصبرهُ وجلدهُ أمام البلايا والفتن، فمقامُ التوحيد الخالص لله -جَلَّ وَعَلَا-، والدعاء بآدابهِ المشروعة، وتعليق الإيمان بالله -جَلَّ وَعَلَا- محبةً وخوفًا ورجاءً، كل ذلك مع ما تمّ الحديث عنهُ في باب القضاء والقدر هي تربيةٌ للمسلمين على مبادئ الصبر عند البلاء.

✵ فيعلم المؤمن أنَّ ما أصابهُ لم يكن ليخطئه، وما أخطأهُ لم يكن ليصيبهِ، وأنَّ الأُمة لو اجتمعت على أنْ يضروهُ بشيءٍ لم يضروهُ إلا بشيءٍ قد كتبهُ الله عليهِ، وأنَّ الأُمة لو اجتمعت على أنْ ينفعوهُ بشيءٍ لم ينفعوهُ إلا بشيءٍ قد كتبهُ الله عليهِ.

۞ وعلى هذا فمظاهر الابتلاء كثيرةٌ متنوعة:

❁ الابتلاء بالشر، فيُبتلَى المؤمن بفقدِ عزيزٍ، أو بفقدِ جزءٍ من جسمهِ؛ كذهاب سمعهِ أو بصرهِ، أو أنْ يُصاب بمرضٍ عُضال، أو يُبتلَى بالخوفِ والجوع وضيق الرزق، كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إشارةً إلى

---

(٤٢) حسن.

تعدد مظاهر الابتلاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٦].

➢ **إلا أنَّ أعظم ما يُبتَلى بهِ المؤمن من صور الابتلاء:** هي المصيبة في الدين، فهي القاصمة، والمهلكة، والنهاية الَّتِي لا ربح معها، ذلك أنَّ كل مصيبةٍ في الدنيا لا شك أنها قد تُعوَض بخيرٍ منها أو مثلها، أمَّا مصيبة الدين فحسرةٌ لا تعوض، **إلا أنَّ الله -جَلَّ وَعَلَا- فتح لعبادهِ من أبواب رحمتهِ ما يكون تسليةً لهما من هذه المصائب:**

❁ **فأولها وأعظمها:** مبادرة المسلم بالصبرِ، قال الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (ذكر الله -جَلَّ وَعَلَا- الصبر في القرآن في تسعين موضعًا)، فجاء الأمرُ بهِ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[النحل:١٢٧]، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[الطور:٤٨]، وجاء تعليق الفلاح بالصبر، فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠].

★ **فإذا نظر العبدُ في الأجور المضاعفة للصابرين هان عليهِ البلاء،** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٦].

✍ **إنَّ سورة الفاتحة فيها الملاذُ بإذن الله -جَلَّ وَعَلَا- من الفتن والمصائب،** والصبر على الابتلاء والامتحان، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، فمَنْ سلك طريق الاستقامة استقام أمرهُ في السراء والضراء، وفي الأفراحِ والاتراح، وفي السعة والضيق، وفي المصائب والمحن.

فاللهم إنَّا نسألك إيمانًا كاملًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وتوبةً نصوحة، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثلاثون: الفاتحة والثبات على الإيمان واليقين

الحمد لله، والصلاةُ والسلام على مَنْ بعثهُ الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا.

۞ **وفي ختام هذه الدروس المختصر لأعظم هدايات آيات سورة الفاتحة:** يجدر -أيها الأخوة- أنْ نختم هذه الدروس بأعظم الوصايا في زمن الفتن والمحن، وذلك بالثبات على الإيمان واليقين، والقرآن العظيم من أعظم المثبتات عند تلاطم الفتن، وتتابع المحن، وكثرة التسرب في الإيمان، وضعف اليقين في الناس.

وكون القرآن مثبتًا للقلوب منصوصٌ عليهِ في آياتهِ الكريمة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[النحل:١٠٢]، **وسنقف -أيها الكرام- إجمالًا على بعضِ صور التثبيت في القرآن:**

❁ **فمنها:** الإخبارُ بأنَّ الملك ملك الله، وأنَّ الأمر أمرهُ سبحانه، فلا يخرج شيءٌ عن إرادتهِ وقدرهِ، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤]، عندها يمتلئ قلب المؤمن إيمانًا ويقينًا وثقةً في محبة الله للمؤمنين، فهو وليهم ومولاهم وناصرهم، فلا مكان في قلوب المؤمن للخوف والحزن واليأس والقنوط والإحباط، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[الحج:٧٨].

❁ **ومن صور التثبيت في القرآن:** ما تضمنهُ من أنَّ ابتلاء أهل الإيمان سُنَّة ماضية؛ لتمحيص القلوب وتنقية الصفوف من المنافقين وطُلاب الدنيا، فلا يبقى إلا مَنْ صدق مع الله، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت:٢].

❁ **ومن صور التثبيت في القرآن:** ما تضمنهُ من ذِكر وعد الثابتين على الإيمان، وذلك بطمأنينة القلب في الدنيا والجزاءُ العظيمُ في الآخرة، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧].

❁ أيها الكرام، مما ينبغي لنا أنْ نعلمهُ أنَّ الوسائل المعينة على الثبات نوعان:

✯ وسائلٌ تزيد في الإيمان واليقين، فسورة الفاتحة جاء فيها طلب الهداية إلى الصراط المستقيم، والمسلمُ في كل صلاةٍ لا بد أنْ يدعو ربهُ -جَلَّ وَعَلَا- بهذه الدعوة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، فإذا هداك الله وإلى صراطهِ زاد إيمانك، ورسخ يقينك، وكان ثباتك على الدين، فاللهم إنَّا نسألك الثبات.

✯ والنوع الثاني من الوسائل المعينة على الثبات: معرفة الوسائل العاصمة للعبد من الوقوع في الفتن، فمَنْ يتحلّى بالصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله نجا من الفتن، فبالصبرِ واليقين تُنال الإمامة في الدين، وصدق الله ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠].

فإذا جمع العبدُ مع الصبر اللجوء إلى الله، والتضرع إليهِ، وذلك الاستعادة بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، عصمهُ الله ونجاهُ من الفتن، صحَّ عن النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنهُ قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن».

✹ فإذا لازم العبد الدعاء والصدق في مراقبة الله وحفظهِ، وابتعد بعقلهِ وجسدهِ وروحهِ عن مواطن الفتن، فلا يتعرض لها، ولا لشيءٍ من أسبابها، فعندها والله يصفو الحال لهذا القلب، فيذوق طعم الإيمان ويثبت على طاعة الرحمن.

اللهم إنَّا نسالك يا ذا الجلال والإكرام لنا ولإخواننا المسلمين الثبات على الدين، والعصمة من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

خَاتِمَةٌ

ما ذاق طعم الايمان والفرح به إلَّا من كان له علاقة وثيقة بالقُرآن، لهُ وِردُ قراءة وآخر للتدبُّر.

إن القرآن إذَا منحتهُ كُلّك وجعلتهُ مَنهَجك وملجأَك منحَك مفاتيحَ بوابَاتِ الفهم والحكمة والفلاح في الدَّارين.

لا يقترب العبد منَ الله ولا يحظَى بعظيم الأجر والمنزلة دونَ أن يكونَ القرآنُ منهجه وقائده في الحياة.

متى ارتوت نفسه بالقرآن وهداياته فلا تشق عليه عبادة ولا طَاعة، بل وفي ساعة البلاء والاختبار يجد أهل القرآن النجاة لهم من الفتن والبلاء فجاءت: *سورة الفاتحة هداية ايمانية ومحكمات ربانية*.

تم ولله الحمد

محمد بن سند الزهراني

رمضان ١٤٤٤هـ

الفهرس

مقدمة ١
الدرس الأول: أعظم سورة في القرآن..... ٢
الدرس الثاني: مقاصد الفاتحة..... ٤
الدرس الثالث: الفاتحة وتوحيد الربوبية..... ٧
الدرس الرابع: الفاتحة وتوحيد الألوهية..... ٩
الدرس الخامس: الفاتحة وتوحيد الأسماء والصفات..... ١١
الدرس السادس: الفاتحة وشرط الإخلاص..... ١٣
الدرس السابع: الفاتحة وشرط المتابعة..... ١٥
الدرس الثامن: الفاتحة والصراط المستقيم..... ١٧
الدرس التاسع: ما هو الصراط المستقيم؟..... ١٩
الدرس العاشر: عوائق الهداية (الشرك)..... ٢٢
الدرس الحادي عشر: عوائق الهداية (البدع)..... ٢٤
الدرس الثاني عشر: عوائق الهداية للصراط المستقيم (المعاصي).... ٢٦
الدرس الثالث عشر: اليوم الآخر وتقرير الاعتقاد..... ٢٨
الدرس الرابع عشر: اليوم الآخر ورسوخ الإيمان..... ٣٠
الدرس الخامس عشر: اليوم الآخر ولقاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-..... ٣٢
الدرس السادس عشر: الفاتحة وتقرير الإيمان بالقدر (١)..... ٣٤
الدرس السابع عشر: الفاتحة وتقرير الإيمان بالقدر (٢)..... ٣٦
الدرس الثامن عشر: الفاتحة وتقرير الإيمان بالقدر (٣)..... ٣٨
الدرس التاسع عشر: الفاتحة وتقرير الإيمان بالقدر (٤)..... ٤٠

الدرس العشرون: الفاتحة والدعاء (١)..... ٤٢
الدرس الحادي والعشرون: الفاتحة والدعاء (٢)..... ٤٤
الدرس الثاني والعشرون: الفاتحة وركائز العبودية..... ٤٦
الدرس الثالث والعشرون: الفاتحة والمحبة..... ٤٨
الدرس الرابع والعشرون: الفاتحة والرجاء..... ٥٠
الدرس الخامس والعشرون: الفاتحة والخوف..... ٥٢
الدرس السادس والعشرون: الفاتحة وتعظيم الله..... ٥٥
الدرس السابع والعشرون: الفاتحة والرقية الشرعية..... ٥٧
الدرس الثامن والعشرون: الفاتحة وتزكية النفوس..... ٥٩
الدرس التاسع والعشرون: الفاتحة والابتلاء..... ٦١
الدرس الثلاثون: الفاتحة والثبات على الإيمان واليقين..... ٦٣
خاتمة ٦٥
الفهرس ٦٦

تم بحمد الله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله..
بين أيدينا أعظم سورة في القرآن لا تصح صلاة مفروضة ولا نافلة مشروعة إلا بقراءتها..
يُظهر فيها العبد ذُلّه وافتقاره في مقام العبودية بين يدي مولاه تعظيمًا وإجلالاً..
فإذا اجتمع له الوقوف علىٰ معاني الفاتحة وهداياتها؛ ارتوت روحه بنور الوحي فزاد ايمانه ويقينه، وارتقىٰ في منازل العبودية صدقه،، وإخلاصه،،
وسمت عندها أخلاقه وآدابه..
وذلك حين نستشعر هدايات سورة الفاتحة،،
فجاء هذا الجهد المتواضع:
"الفاتحة هدايات إيمانية و محكمات ربانية"

وفق الله الجميع لما يحب ويرضىٰ..

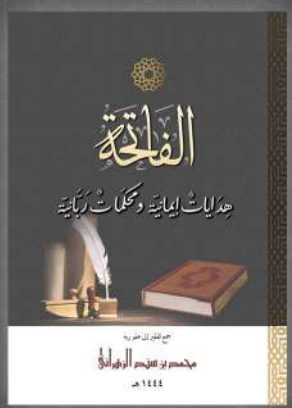

شبكة الألوكة - قسم الكتب